جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مَحِلَّة الحريم الطاهري ببغداد
"دراسة حضارية"

إعداد

د/ محمود عبد الفتاح أبو طه

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بالقاهرة

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مجِلَّة الحريم الطاهري ببغداد: دراسة حضارية

محمود عبد الفتاح أبوطه

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: mahmoudaboutaah@azhar.edu.eg

الملخص:

ينشُدُ هذا البحث مزيدًا من الاستيعاب للظواهر الحضاريّة المتعلقة بـ "مجِلَّة الحريم الطاهري"، ووضعها في سياقها التاريخي والحضاري، والأهم من ذلك المثاليَّة الواقعيَّة التي مثلتها مجِلَة الحريم الطاهري – إلى حد بعيد – للنظام الحضاري في الدولة الإسلامية. والذي دفعها لتكون مدينة تُكافيء بغداد ذاتها. وهذا البحث يتضمن معلومات، وتحليلات تمتاز بالجِدَّة، والإصالة؛ بحيث يلحظ القارئ أن جلَّ المادة العلمية الواردة في ثنايا الدراسة مستقاة من مصادرها الأوليَّة.

كما سلَّط البحث ضوءًا كثيفًا حول نشأة محلة الحريم الطاهري، وتطوُّرها، وبيان العوامل التي صاحبت ذلك، مع ميل إلى التركيز على تطوُّرها العمراني، وأوضاعها الإدارية، والاقتصادية، والعلمية. وكان من شأن هذه الدراسة أن تتوصل إلى نتائج لعل أهمها: أن الحريم الطاهري شكَّل مركزًا ثانويًّا استراتيجيًّا لإقامة أرباب السلطة من العباسيين، وكبار رجالات الدولة، وظلت رُفات بني العباس معه حرمًا آمنًا، إلى جانب كونها معقلًا لطلب علم الحديث ، والذي شكَّل جوهر حياتها العلميَّة، إلى الحد الذي جعلها تَشتهر به.

الكلمات المفتاحية: مجِلَّة– الحريم – الطاهري– حضارية

Al-Hareem Al-Tahiri Locality in Baghdad: A Cultural Study

Mahmoud Abdulfattah Aboutaha
History and Civilization Department, Faculty of Arabic Language in Cairo, Al Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: mahmoudaboutaha@azhar.edu.eg

Abstract:
This study aims at understanding the cultural aspects of Al-Hareem Al-Tahiri Locality and placing it in its historical and cultural context. Most importantly, the realistic aspect represented by the locality in respect of the cultural system in the Islamic state, to a large extent. The locality was a city that stood on equal footing with Baghdad itself. This study includes information and analysis that are characterized by novelty and originality such that the reader will notice that most of the material of the study are derived from its primary sources.

The study sheds considerable light on the origin of the locality, its development and the factors associated therewith with particular focus on its urban development as well as its administrative, economic and scientific conditions. The study arrived at some conclusions, probably the most important of which is that the locality was a secondary strategic center for the residence of high Abbasid authorities and senior statesmen. The remains of the Abbasid were protected in this locality. The locality was a also learning center where the Islamic discipline of Hadith was taught. In fact, the locality gained a reputation as the city of Hadith, which formed the essential part of its scientific life.

Keywords: Locality – Al-Hareem – Al-Tahiri – Cultural

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على المبعوث رحمه للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛

فالنشاط البشري يتصف **بسمة عامَّة** وهي التعاون، الذي يُشكِّل مؤثرًا مُهمًّا في تكوين **المظهر الحضاري** لأيِّ مجتمع، ولما كانت **القُرى، والمحلات، وكذا المُدن** هي المُستقر الذي تيسَّر للإنسان فيها **إنماء، وتوسيع** علاقاته، ونظمه، بل ونشاطه الفكري، وإبداعاته، فإن **محلات بغداد مجتمعة** تقتضي ظواهرها الحضارية **انعكاسًا حيًّا** لما وجَّهته، وأنمته بغداد، وعلى نحو عام **يُمكن فهمها** بالقدر الذي تُدرَس به القوى التي أثمرتها، وانبثقت عنها، وأَثر هذه النظرة تَكَوَّن جانبٌ آسرٌ لَدَيَّ **لدراسة مجلَّة الحريم الطاهري** باعتبارها **إحدى محال بغداد** البارزة، ومن ثمَّ تكمن أهمية موضوع "**مجلَّة الحريم الطاهري ببغداد: دراسة حضارية**" ذلك أننا نستطيع من خلاله أن نتفهم دور المحلة الرائد **في إثراء بغداد**، وعليه يكون من المعقول إذن أن نتساءل عن الظواهر الحضارية المميِّزة **للحريم الطاهري** بالعلاقة مع **النسق الحضاري الأوسع** بغداد، والتي تشير إلى أن **الحريم الطاهري** لم يكن **مجرد محلة من المحلات المتعددة** في بغداد، بل **مدينة تُكافيء بغداد ذاتها**، وعليه تبرز **أمامنا إشكالية الدراسة** وهي: إذا كانت **المحلة** في الأصل **جزءًا من** بغداد فكيف تكُون **مدينة وحدها ذات سمات حضارية بارزة؟**، وقد مثّلت قلة المعلومات الشاملة التي تحدِّدُ، وتبيِّن بصورة دقيقة تلك السمات أبرز العقبات التي واجهتني في بناء البحث، وسَبْكه، ولا شك عندي في أن القارئ عند نظرته الأولى لعنوان الدراسة **سيطرح تساؤلًا** عن الفترة الزمنية المقيدة لها، إلا أن ما يُمكنني قوله – ولعلي أكون صوابًا – إن **مجلَّة الحريم الطاهري نشأة، وانحسارًا** ليس لها إطار زمني دقيق نحقِّقه على وجه التحديد.

ومن **الاعتبارات الأولى** التي يجب مراعتها فيما يتعلق بهذا الموضوع، الحديث عن **الدراسات السابقة حوله**، والمُتمثلة في: مقال معنون بـ "**محلة المَأمُونية، وباب الأَزَج والمُختارة**" نُشِر بمجلة لغة العرب العراقية، السنة الثامنة، عدد مايو ١٩٣٠م، وبحث آخر موسوم بـ "**نشأة وتطور محلة باب المراتب في بغداد**" نُشر بمجلة الملويَّة للدراسات الآثارية والتاريخية، كلية الآثار، جامعة سامراء العراقية، السنة السادسة، مج٦/ع١٥/ ٢٠١٩م. وعليه فإنّي لا أجافي الحقيقة إذا قلت: إن موضوع "**محلة الحريم الطاهري ببغداد: دراسة حضارية**" يمتاز بالجِدَّة، والأصالة.

هذا وتتكون **ملامح الدراسة** من **العناصر الأساسيَّة** التالية:

أولًا:- مفهوم المحلة لغة، واصطلاحًا، **ثانيًا:**- نشأة المحلات ببغداد، **ثالثًا:**- عوامل نشأة محلة الحريم الطاهري، وتطوُّرها، **رابعًا:**- سبب التسميّة، **خامسًا:**- الحدود الجغرافيَّة للمحلة، **سادسًا:**- التطور العمراني، **سابعًا:**- منشآت المرافق والخدمات، **ثامنًا:**- الأوضاع الإداريَّة، **تاسعًا:**- الأوضاع السُّكانيَّة، **عاشرًا:**- الأوضاع الاقتصاديَّة، **حادي عشر:**- الأوضاع العلميَّة بالمحلة، ثم **أنهيت الدراسة بخاتمة** جاء بها **أبرز النتائج** التي توصلت إليها، ثم أضفت **ثلاثة ملاحق** إلى مادة الدراسة، **الأول منها:** خريطة توضح **محلات الجانب الغربي** من بغداد، **أما الملحق الثاني:** خريطة تبيّن أقصى امتداد **لمحلة الحريم الطاهري، بينما الملحق الثالث:** خريطة تظهر **محلة الحريم الطاهري** وقت النشأة. وتلى تلك الملاحق ثبت المصادر المراجع.

وتتمَّة لهذا أرجو من الله ﷻ أن يحالفني التوفيق، والسَّداد فإنّي لا أبرئ نفسي من الزلل، ولا أسلِّم بحثي من الزيادة، والنقصان، ولا أفلته من الخلل، والله أسأل أن يرزقه القبول. آمين.

أولًا:- مفهوم المحلَّة

(أ): المفهوم اللغوي

يرجع الأصل اللغوي لكلمة "محِلَّة" إلى الفعل "حلَّ" **تقول: حل يَحُلّ حُلولًا: وذلك نزول القوم بمحلَّة، وهو نقيض الارتحال**، والمَحَل: نقيض المُرتَحَل(١)، وأنشد الأعشى(٢) قائلًا:

إن مَحَلاً وإن مُرتحلا وإن فِي السفر ما مضى مَهَلا(٣)

وبهذا يكون المحَل الموضع الذي يُحَلُّ فيه؛ لأنها من حَلَّ يحُلُّ أي نزل، وإذا قلت المَحِلُّ، فهو من حَلَّ يحِلُّ أي وجب يجب، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ ﴾ (٤)، أي الموضع الذي يحل فيه نحره(٥).

(ب): المفهوم الاصطلاحي

يقصد بالمحِلَّة: **جماعة الجِيرة، أو جماعة الجِوار التي تَسكُن في جزء من البلدة، أو المدينة التي تتميز ببعض الخطوط، أو الحدود الفاصلة؛ كالطرق**

---

(١) أبو منصور الأزهري: محمد بن أحمد، ت٣٧٠هـ/٩٨٠م، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط١/٢٠٠١م، ج٣/ص٢٧٩.

(٢) الأعشى الكبير أبو بصير ميمون بن قيس، من شاعر الجاهلية، ولد الأعشى بقرية باليمامة، يقال لها: منفوحة وفيها داره، وبها قبره، يقال: إنه كان نصرانيًا، ويُعدُّ الأعشى أول من سأل بشعره، يذكر أنه وفد إلى النبي ﷺ ومدحه بقصيدته؛ المزرباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران، ت٣٨٤هـ/٩٩٤م، معجم الشعراء، تحقيق: ف . كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٤٠١.

(٣) ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله، ت٢٧٦هـ/٨٨٩م، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج١/ص٦٩، ٧٠.

(٤) من الآية رقم (١٩٦) سورة البقرة.

(٥) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، ت٧١١ هـ/١٣١١م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ، ج١١/ص١٦٣، مادة (حلل).

الرئيسة، والأنهار، والقنوات، والأماكن الخالية، كما تتميز بوجود قدر كبير من التشابه، أو التجانس بين أنماط السكان الموجودة بداخله(١). هذا وقد عرَّفها العالم الجغرافي كرستوفر "christopher " بأنها: **تنظيم اجتماعي من السكان يسكنون في موقع جغرافي متقارب،** وهذا لا يشمل الروابط الاجتماعية بين أفراد مَعنيين من السكان، بل يشمل جميع روابط تلك المجموعة مع الأفراد غير المتجاورين. ومن ثم **فالمحلة تُعرف بأنها: موقع سكني يضم مجموعة من السكان** يتم تنظيمهم الاجتماعي **بأنه قائم على قوة الروابط الاجتماعية، والعلاقات الشخصية، والتفاعل المباشر**(٢). ويبدو هذا متوافقًا مع إشارات المصادر **والتي تظهر الإطار العام لتوزيع السُكْنى في بغداد طور إنشائها،** فعندما بَنى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) قصر الخُلد بعد الفراغ من بغداد على شاطئ دجلة (١٤٦هـ/٧٦٣م)؛ بُنيت المنازل من حوله **فصارت بذلك محلة كبيرة** عُرفت بالخُلد(٣)، والتي تشكلت – كغيرها من سائر المحلات – **على أُسس توزيعٍ يغلبُ عليه الانتماء الاجتماعي؛ فالمحلات تألَّفَ معظم سكانها من عناصر ذات انتماءٍ قَبَلي واحد في الغالب**(٤). **وعلى أية حال فإن دلالة الاسم تشير إلى أن لفظة المحلة** ترتبط

(١) طلعت إبراهيم لطفي: أثر الحضرية في جماعات الجيرة "دراسة ميدانية لعينة من أرباب الأسر في مدينة الرياض"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، (مج ٤ ،ع ١٦) ١٩٨٤م، ص٩٢.

(٢) حارث علي حسن العبيدي: العشوائيات: دراسة سوسيو أنثروبولوجية في الإقصاء الاجتماعي/ المكاني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عَمّان، ٢٠١١م، ص٣٥.

(٣) ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢/١٩٩٥م، ج٢/ص٣٨٢.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢/ص٣٣١، ج٣/ص٣٧٨؛ ابن شمائل القطيعي: عبد المؤمن بن عبد الحق، ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٢هـ، ج٢/ص٨٢١، ج٣/ص١٢٦٧.

بمعانٍ منها: **الدلالة على التجمع، والسكنى في مكان، أو المكان الذي يتميز بنوع من الانتماء القَبَلي.**

ثانياً:- نشأة المحلات في بغداد

في الحقيقة تُعدُّ الجهود التي بذلت في تشييد، وتخطيط بغداد جهودًا مثيرةً للفضول؛ **ذاك أنها تُبرز توسعًا عمرانيًّا هائلًا شهد العديد من التغييرات الوظيفية**، التي دفعت ببغداد **نحو مزيد من النمو العمراني، والحضاري في آنٍ واحد، وقد شكل التجمع خصيصة في تكوين، ونشأة المحلات ببغداد**، فاليعقوبي[1] المتوفى (بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م) يشير إلى هذا المعنى أثناء حديثه عن تأسيس بغداد، والذي بيّن فيه "**أن كل دربٍ، أو محلٍ** كان ينسب إلى أهل بلد من البلدان ينزلون في جنبتيه، ويُسمّى باسم القائد النازل فيه، أو الرجل النبيه الذي ينزله، أو أهل البلد الذي يسكنونه، **وأنه وقع إلى كل أصحاب محلة**، أو غيرها ما يصير لكل رجل من مساحة، ولمن معه من أصحابه، وما قدّره للحوانيت، والأسواق، والسكك، والدروب النافذة، وغير النافذة ما يعتدل بها المنازل، **وما يكتفى به في كل ناحية، أو محلة**". هذا **وقد كان من نتائج اتخاذ المنصور لبغداد** عاصمة للدولة العباسية أن **توافد إليها الناس على اختلاف طبقاتهم**؛ فابتنوا الدُورَ، والقصور، والأسواق، والحمامات، والمساجد الخاصة بهم، والمرافق المعيشية الأخرى؛ **فاتسعت بغداد إلى جانبين أحدها: الغربي (أي غربي دجلة)، والآخر: الشرقي (أي شرقي دجلة)، وامتدَّ العمران شَمالًا، وجنوبًا**، وكان من طبيعة السكن الاجتماعية أيامئذٍ أن **يتجمهر أهل كل مذهب في محلة، أو محلات مُعينة معلومة**[2].

---

(١) البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ، ص٣١، ٤٠.

(٢) مصطفى جوّاد، وآخرون: تخطيط بغداد في مختلف عصورها، نشر: نقابة المهندسين العراقيين على نفقة مؤسسة كولبنكيان، بغداد، ١٩٦٩م، ص٣٧، ٧٨.

هذا ويُعدُّ **الجانب الغربي** من بغداد، هو الأسبق في التشييد من **جانبها الشرقي** كما يفهم من روايات الجغرافيين(١)؛ واستنادًا لما ذكره ابن حوقل(٢) فإن أبا جعفر المنصور لما **ابتنى مدينة بغداد في الجانب الغربي** من نهر دجلة **جعل حولها قطائع لحاشيته، ومواليه، وأتباعه**؛ كقطيعة الحَربية، والربيع(٣)، وغيرهما، **ومع تقادم الأيام** عُمرت بغداد، وتَزايدت، وتنامت؛ فدلالة النصوص تشير إلى أن **الجانب الشرقي** ابتدأ بناءه سنة (١٥١هـ/٧٦٨م) حين شرع أبو جعفر المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) فحفر لها خندقًا، وشيَّد لها سورًا، وميدانًا، وبستانًا، وأجرى لها الماء(٤)، رافق ذلك تقسيم القطائع بها، **ثمَّ تنافس الناس في اتخاذ المحلات بها**؛ لمحبتهم للمهدي؛ لإغداقه عليهم بالأموال، والعطايا، ولأنه **(الجانب الشرقي)** كذلك أوسع **الجانبين** أرضًا؛ ولأن الناس سبقوا إلى **الجانب الغربي** في السكنى، والتشييد(٥).

---

(١) الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٨٣؛ ابن الفقيه: أبو عبد الله أحمد بن محمد، ت٣٦٥هـ/٩٧٥م، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٨٩، ٢٩٠؛ ابن حوقل: أبو القاسم محمد البغدادي، ت٣٦٧هـ/٩٧٧م، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٩٣٨م، ج١/ص٢٤٠.

(٢) صورة الأرض، ج١/ص٢٤٠.

(٣) **قطيعة الحربية** تُنسب إلى حرب بن عبد الله صاحب حرس المنصور؛ **أما قطيعة الربيع** فمنسوبة إلى الربيع بن يونس مولى الخليفة المنصور وحاجبه؛ الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي، ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م، تاريخ بغداد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١/ص٣٩٨، ٤٠٢.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٣٩٣.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص٤٥.

ولما كانت القواعد المنظمة لبغداد؛ **تبعًا للمحلات والتي رسمت** – دون شك – **مجرى نُموّها، وتطورها فإن الصورة المتحصلة لمحلاتها** تعكس كيف **أن بغداد لم تكن مدينة محدودة النطاق؟**؛ بل كانت **مركزًا حضَريًّا مزدهرًا** ذا مساحة واسعة، وسكان كثيرين، وعناصر، **أو محلات تتبادل الاعتماد على بعضها، وكل منها – أي المحلات – تحتوي على المؤسسات الخاصة بها** – إلى حد ما – كنتيجة أحوال تاريخية معينة تتصل بتطور المؤسسات الإدارية الحكومية[١]، الأمر الذي جعل من بغداد **مدينة كبيرة تشتمل على مدن، وأمصار (محلات، وأرباع) متلاصقة، ومتقاربة تجاوز الأربعين مدينة؛** لإفراط العمران بها[٢].

ووفقًا للمادة الخِطَطِية المستمدة من عدَّة روايات والعائدة إلى أزمنة متعاقبة[٣]؛ يظهر لنا الاختلاف **في عدد محلات بغداد، وضبطها،** ولعل السبب

---

(١) يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة: د. صالح أحمد العليّ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م، ص٢٦٩.

(٢) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م، (المقدمة) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١/ص٤٢٧.

(٣) **حيث نلحظ** ما أورده اليعقوبي المتوفى بعد سنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م) من **وصفٍ خططي لبغداد بدأه بالجانب الغربي مطولًا، ثم أنهاه بوصف قصيرٍ للجانب الشرقي؛** مشيرًا في نهاية وصفه إلى أن هذا الوصف قائم على ما كانت عليه بغداد في أيام المنصور، والمهدي؛ البلدان، ص٢٥-٥٢؛ يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ص٣٠؛ **يضاف إلى ذلك الأوصاف التي تعرض لها مُؤلِّف** "عجائب الأقاليم السبعة" **لأنهار بغداد وجريانها في محلات بغداد الشرقية، والغربية** إبان عصر الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) **والتي تثبت النمو الخِططي للمدينة؛** سُهراب: عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، طبع بمطبعة هُولزهوزن، فينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ص١١٨-١٣٤؛ يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ص٣١؛ **في** =

في ذلك راجع إلى سببين رئيسيّن، **الأول:** اختلاف عصر المُحصين لها، وتباين اعتبارتهم؛ **فمنهم من كان يعدّ المدينة المستقلة محلة من المحال، مع أنها اشتملت على عدَّة محال**[١]، **والآخر:** التغيُّر الطبوغرافي الناتج عن صُرُوف الزمن، وعواديه كالفيضانات، والحرائق[٢]، وعلى أية حال **فقد رُتبت المحال في**

=

مقابل هذا يمكننا ملاحظة روايات الخطيب البغدادي المتوفي سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وأبي الوفاء ابن عَقيل المتوفى سنة (٥١٣هـ/١١١٩م) ذات الصلة **ببغداد وخططها، ومحلاتها**، وتطورها الطبوغرافي؛ **وذلك بظهور نوع جديد من المحلات في الجانب الشرقي** كان يُطلق عليه وصف "خَرَابة" مثل: "خرابة ابن جَرْدَة"، **بالإضافة إلى محلات كانت مهمة يومًا ما، ولكنها تقلصت إلى مجرد ظِلال لكيانها السابق**؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٣٧٨ وما بعدها؛ جورج مقدسي: خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، دار الكتب العلمية، بغداد، ط١/١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٢١-٢٥، ص٣٩-٤٠.

(١) محمود شكري الآلوسي: أخبار بغداد وما جاورها من بلاد، تحقيق: د. عماد عبد السلام رؤوف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١/١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص١٩٦، ١٩٧.

(٢) جورج مقدسي: خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ص٣٩-٦١؛ **قلت: ولا يفوتُني التذكير هنا** بما أحدثته الفيضانات والحرائق، والأحدث من تبدلات، وتغييرات مهمة في **محلات بغداد** إبان القرن الخامس، والربع الأول من القرن السادس الهجريين/ الحادي عشر، والثاني عشر الميلاديين؛ وفي بعض الأحداث كان ما بين باب البصرة، والعتابين، والخلد، وشارع الرقيق من الجانب الغربي؛ **قد اندرس اندراسًا كليًّا**، وصار الجامعان بالمدينة، والرصافة متوسطين الصحراء بعد أن كانا في وسط العمارة؛ ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٢هـ/١٩٩٢م،ج٨/ص٨٣؛ج١٦/ص١٨، ٧٤، ١٦٦، ١٦٧، ج١٧/ص١٤٥،١٤٣؛ ولك أن تتخيل أن **الجانب الغربي** رغم استلاء الخراب عليه أواخر

=

مدينـة السـلام (بغداد) ترتيبًا حسنًا، وكانت جملة مساحتها في الجانبين ثلاثة وخمسين ألف جريب[١]، وسبعمائة وخمسين جريبًا، الجانب الشرقي ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريبًا، والجانب الغربي سبعة وعشرون ألف جريب[٢].

ثالثًا: عوامل النشأة والتطوُّر

يعدّ تنوع **المحلات العُمرانية** – ذات الكثافة السكانية المرتفعة – أحد أبرز الملامح المُبرَّزة لمدينة بغداد على اختلاف أطورها، وعصورها، والتي تُشكِّل جزءًا من المساحة العمرانية للمدينة الأم (بغداد). ومرورًا بما وصفه الجغرافيون، والمؤرخون حول خطط بغداد يمكننا أن نخرج بعدَّة استنتاجات حول عوامل **نشأة محلة الحريم الطاهري، وتطورها.**

=

القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي كان يحتوي على **سبع عشرة محلة كل منها مدينة مستقلة**، فكم كان **عدد المحلات** قبل استلاء الخراب عليه؟. جوابًا أقول: إن العدد بلا شكٍ يفوق هذا بكثير، فابن جبير المتوفى سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) يكشف لنا ما رآه في ذلك قائلًا: " فأما **الجانب الغربي فقد عمه الخراب** واستولى عليه وكان المعمور ... لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على **سبع عشرة محلة كل محلة منها مدينة مستقلة**"؛ رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت، ط١/ د ت، ص٢٠٠، ٢٠١.

(١) الجريب كمقياس للأرض مقداره يعادل (١٥٩,٢م٢)؛ فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عَمَّان، ١٩٧٠م، ص٩٦.

(٢) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م، مناقب بغداد، اعتنى بتصحيحه: محمد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٢هـ، ص١٥.

(١):- <u>العامل الجغرافي</u>

ولأن الإنسان **يؤثر في البيئة، ويتأثر** بها؛ فإن **نشأة المدينة وتطورها** في الأصل من عمل الإنسان، ولكن الظروف الطبعية في البيئة التي يعيشها الإنسان هي الحافز الأول، والملهم الذي يجعله يُفكر في بنائها. والمدينة في بيئتها الجغرافية **كائنًا حيًّا** تتأثر أيَّما تأثير بمحيطها البيئي، وتتفاعل معه بصورة أو بأخرى(١)، ومما لا شك فيه أن الموقع يشكل دافعًا رئيسًا لنشأة المدن، ومحيطها الجغرافي؛ فالمحلات العمرانية حياتها، ونموها – كالمدينة – في موقعها، أو بمعنى آخر موقع المحلة، أو المدينة يتحكم في حياتها، ونموها(٢)، من هنا فإن **اختيار بناء بغداد** في سهل خصب صالح للزراعة على ضفتي النهر، هيأ معه تزايدًا سكانيًا، وتطورًا، ونموًا عمرانيًا(٣)، وأسهم بشكل فعَّال في **نشأة محلة الحريم الطاهري** بالجانب الغربي لبغداد على ضفة نهر دجلة(٤).

وقد مثَّلَ هذا الموضع الذي غصَّ بحركة دائبة قائمة في اتجاه مسار المياه، القاعدة التي ارتكزت عليها **محلة الحريم الطاهري في مرحلتي التأسيس والتطوُّر** – فيما يبدو – فالجغرافي سُهراب(٥) ترك لنا وصفًا قيّمًا – يتسم بالدقة – – للرافد المائي الوفير، المتمثل في الأنهار الجارية **في محلات الجانب الغربي**

(١) مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العرقية، ١٩٨٢م، ص١٩٩.

(٢) عبد الفتاح محمد وهيبة: جغرافية الإنسان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٢٣.

(٣) عبد الرزاق الحسيني، عبد العزيز الدوري: بغداد، ترجمة: إبراهيم خورشيد، وآخرون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط١/١٩٨٤م، ص٦٦، ٩٠-٩٢.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤/ص٨.

(٥) عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، ص١٣١-١٣٤.

كنهري عيسى[١]، والصَّراة[٢]، وفروعهما الخارقة **لمحلة الحريم الطاهري**، فعلى أثر هذا **العامل الجغرافي** تأثرت تلك المحلة بشكل ظاهريٍّ في تطورها، وإنه لمن المفيد هنا أن نذكر مدى تأثير هذا **العامل الجغرافي** عليها **نشأةً، وتطورًا**؛ فخريطة إرواء **محلة الحريم الطاهري** تؤكد أن ثمة تطوُّر حدث؛ بإضافة مشروع شق نهر جديد **يتفرَّع من** نهر الصَّراة عُرف بـ "**الخندق الطاهري**"[٣]، ذكره ابن شمائل القطيعي[٤] **بقوله: "وخندق طاهر ببغداد، وهو الدرب المعروف بالطاهرية**، كان حول محال أرباض مدينة المنصور، **فسمّي الخندق لذلك**"، وفي موضع آخر أشار إلى أن: "**الطاهرية مفيض فضلات الماء** من زيادة دُجَيْل[٥]، دُجَيْل[٥]، ومن نهر عيسى، صار نهرًا عليه قناطر معقودة بالآجر بعدة أبواب،

(١) يُنسب لعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي أقطعه إقطاعًا واسعًا عند مصب هذا النهر، ولعل هذا الإقطاع كان السبب في تلك التسمية؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٤٠٧، صالح أحمد العلي: نهر عيسى في العهود العباسية، مجلة سومر، مج٣٤، ج١، ٢، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الآثار والتراث، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م، ص١٧٧.

(٢) ترجع تلك التسمية – فيما يظهر لي – إلى طول مكث الماء في هذا النهر؛ فأهل اللغة يقولون: الصَّرى والصِّرى للماء يطول استنقاعه، وإذا طال مكثه وتغيّرَ؛ الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/١٠٤٧هـ/١٩٨٧م، ج٦/ص٢٣٩٩.

(٣) مصطفى جوّاد، وآخرون: تخطيط بغداد في مختلف عصورها، ص١٠٥.

(٤) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١/ص٤٨٤.

(٥) اسم نهر مخرجه من أعلى بغداد يسقي كورة واسعة وبلادًا كثيرة؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢/ص٤٤٣.

ويرمى إلى دجلة"[١].

لأجل هذا تبرُز **أهمية العامل الجغرافي** في التحكم المستدام لعوامل النمو الحضاري القائم **بمحلة الحريم الطاهري** على توفير إمدادات الماء، وكذا الغذاء عن طريق تنظيم ريّ وسُقيَ الضياع، والمزروعات، يؤكد هذا المعنى ابن خلدون[٢] بقوله: "وأما جلب المنافع، والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها: الماء بأن يكون البلد على نهر، أو بإزائها عيون عذبة ثَرَّة فإن وجود الماء قريبًا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء، وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة".

(٢):- <u>العامل السياسي والإداري</u>

إذا كان **تكوين المحلات** يُفصح عن تجمع، أو تجمهر أفرادها في محيطٍ اجتماعيٍ يسهل عليهم فيه الأخذ بأسباب الحياة، وفي ذات الوقت يمنحهم قدرًا كافيًا من ممارسة إدارة شئون حكمهم، وتنظيم أمورهم. فإن **جغرافية المدن،** وتوابعها كانت – ولا تزال – تتطلب وظيفة سياسية تبرر تكوينها؛ لهذا **كانت الإدارة من أولى الضروريات** منذ نشأة المجتمع المستقر فهي من **الوظائف الأولية** – بلا شك – التي تبنى عليها **تأسيس المدن، ومحلاتها** عبر العصور[٣].

ولا أكون مبالغًا إذا قلت: إن الصراع السياسي الذي دار رحاه – في بغداد – بين الأمين، والمأمون حول الخلافة **شكَّل صورة الحريم الطاهري؛** فتطور السيادة من شخص لآخر – في العادة – يكون مصحوبًا بمحاولات **لتنظيم مراكز تجمع السكان – كالمحلات – تنظيمًا إداريًّا،** فالأفراد التي نالت النجاح حرصت

(١) ابن شمائل القطيعي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢/ص٨٧٧.

(٢) المقدمة، ص٤٣٤.

(٣) جمال حمدان: جغرافية المدن، نشر عالم الكتب، القاهرة، ط٢، د ت، ص٨١.

أن يكون لها **تجمعات، أو محلات** تكون مركزًا لها، ودليلًا على انتصارها[١]، فمع استقراء النصوص المتعلقة بأحداث هذا الصراع؛ يمكننا أن نخرج منه بعدة استنتاجات منها: أن **محلة الحريم الطاهري** تمثل انعكاسًا حيًّا لما ظهرت عليه تلك الأحداث؛ فيذكر الطبري المتوفي سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) في تاريخه[٢] خراب العديد **من محلات الجانب الغربي لبغداد**؛ إثر هذه الفتنة؛ مشيرًا إلى أن طاهر بن الحسين[٣] قائد قوات المأمون كان يأمر جنوده **بهدم، وإحراق محلات** الموالين للأمين **الواقعة** "... ما بين دجلة، ودار الرقيق، وباب الشام، وباب الكوفة الى الصراة، وأرحاء أبي جعفر، وربض حميد، ونهر كرخايا، والكناسة". **وعليه فقد تغيَّرت طبوغرافية المحلات وخططها**، وليس أدل على هذا التغَيُّر من أن الخراب كثُر، وكذا الهدم في جُل أنحاء بغداد؛ **حتى دُرست محاسنها**، وعن ذلك قال أحدهم:

"من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زمانًا قرَّة العين
ألم يكن فيك قومٌ كان مسكنهم ... وكان قربهم زينا من الزَّين
صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا ... ماذا لقيت بهم من لوْعة البين"[٤].

---

(١) مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية، ص١٢٨.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢/١٣٨٧هـ، ج٨/ص٤٥٩.

(٣) طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الأمير ذو اليَمِينَين، أبو طلحة الخزاعي، أحد قواد المأمون الكبار، والقائم بإكمال خلافته، نَدَبه المأمون إلى محاربة أخيه الأمين، فسار بالجيوش، وظفر بالأمين، وقتله، توفي طاهر في كهولته سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م؛ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١/٢٠٠٣م، ج٥/ص٩٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨/ص٤٤٦، ٤٤٧.

وهكذا يفهم من سياقات الأحداث أن هذا الخراب، والهدم استدعى من الخليفة المأمون تبني العديد من الإجراءات التنظيمية؛ **والتي تَهدُف إلى إنشاء محلات جديدة** تُناجز القديمة، وتُدين بالولاء له؛ كضرورة دفاعية ضد خصومه السياسيين– فيما يبدو لي– فرواية الخطيب البغدادي[١] تشير إلى أن "المأمون أقطع طاهر بن الحسين داره، وكانت قبله لعُبيد الخادم مولى المنصور"، كأحد الوسائل الرئيسة التي استطاعت بها الخلافة الحصول على المنفعة السياسية الضرورية من خلال إقامة تنظيمات، وكيانات موالية لها. وعليه تهيأت تلك الدار لتكون نواة حقيقة نمت حولها **محلة الحريم الطاهري** بالجانب الغربي من بغداد؛ **والتي أخذ أرضها طاهر بن الحسين،** وجعلها خاصة به، وبذريته، وحفها بسور ذي أبواب[٢]، بينما تُفسِّر رواية أخرى أن تلك الدار كانت على الأقل – في البداية – مقرًا يتولى منه الطاهر إدارة الجانب الغربي، ومراقبة أحواله، فيذكر الطبري[٣] أن المأمون "ولَّاه جانبي بغداد، ومعاون السواد، وقعد للناس"، وتأكيدًا لهذا أشار اليعقوبي[٤] إلى أن إدارة دواوين الدولة (كديوان الصدقات، والخراج، وبيت المال، ...) كانت تتركز بالجانب الغربي. **وهكذا شكَّل ظهور محلة الحريم الطاهري؛** انعكاسًا لأسلوب إدارة المأمون، وقائده الطاهر في السيطرة على الجانب الغربي من بغداد.

وتتمَّة لهذا أقول: **إن ثمة علاقة بين الدولة، ومُدنها،** فالأخيرة بما تضمه

(١) تاريخ بغداد، ج١/ص٣٩٧.

(٢) التعليقات والإضافات والشروح التي أبداها الدكتور: قاسم السامرائي في تحقيقه لكتاب الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني: محمد بن علي، ت٥٨٠هـ/١١٨٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١/١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢٩٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٨/ص٥٧٧.

(٤) البلدان، ص٣٣–٣٥.

مـن مخططـات عمرانيـة **كـالمحلات، وغيرهـا**؛ تعكـس قـوة الأولـى **فـي نظمهـا السياسـي، والإداري**، ولعـل هـذا مـا ألمـح إليـه ابـن خلـدون[١] مـن أن "**العمـران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره**".

(٣):- <u>العامل الأمني</u>

يشكل الجانـب الأمنـي أهميـة قصـوى فـي ترسيخ، وإعداد الـدور التنظيمـي للمدن، وتوابعها، وإذا كان موقع المدن، أو المحلات يُمثل أحد أهم العناصر التي تؤهل أيّ مجتمع لإبراز سماته؛ بما يحمله من دلالات بشرية، أو مدنية واضحة قد تعني الحياة، أو الموت بالنسبة للمدينة، ومحيطها[٢]، **فإن العامل الأمني** – توازيًا مـع العوامل السالفة – أدى دورًا فعَّالًا **فـي نمـوِّ محلـة الحـريم الطـاهري**، ويُظهـر الفحـص الـدقيق لتـاريخ تلـك المحلـة **بـروز العامـل الأمنـي** بشكل لافت للانتباه في نموِّها، وتطورها؛ **فقد اتخذها النـاس مـلاذًا آمنًـا؛ للسكنى، والتعمير**، بعد انتشار الفتن والاضطرابات في المحلات الأخرى؛ فابن الجوزي[٣] أوضح في حوادث سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م) أن أمر العيَّارين[٤] **بمحلات الجانب الغربي** اشتَّد، فما كان من أهل تلك النواحي **إلا أن هاجروا إلـى محلـة الحـريم الطـاهري**؛ فهي الأكثر ملاءمة للسكنى، فابتاعوا خرابات بها، وعمَّروها. **وهكذا فإن نجـاح هذه المحلة في استقبال تلك الهجرة**؛ كوَّن معه مُحَفِّزات على استثمار العامل الأمني في التشييد، والإعمار، والإنتاج **بمحلة الحريم الطاهري**.

---

(١) المقدمة، ص٣٧٧.

(٢) جمال حمدان: جغرافية المدن، ص٢٨٠.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥/ص٣٢١.

(٤) قطـاع الطُـرق، واللصوصـية، وهـم جماعـة استباحت لنفسـها الخـروج علـى النظـام العـام، ومخالفة القوانين؛ محمد أحمد عبد المولى: العيَّارون والشُّطار البغاددة في التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢٦، ٣١.

واستنادًا على هذا **صارت محلة الحريم الطاهري** تتفوَّق على محلة "الكَرْخ"[١] أعمر مناطق بغداد؛ والتي تميَّزت بتنوع نشاطها الاجتماعي، والاقتصادي[٢]، **وتأكيدًا لهذا التفوق الطاهري** نلحظ أن الكرخ انغمرت في حالة من التدهور؛ جراء الفتن الطائفية التي استعرت في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين[٣]؛ الأمر الذي دفع الإدارة الحاكمة آنذاك؛ أن تَشرعَ في إعمار الكرخ باعتباره محلة جاذبة، وفي ذات الحِين أصدرت الأوامر بعدم العبور إلى **محلة الحريم الطاهري، والتعايش فيه**. ومع هذا بقي الحريم الطاهري – لما تمتع به من أمن وأمان– في نمو عمراني، واجتماعي مميّز على الرغم من التغييرات العمرانية المتزايدة – مع الأيام – في الكرخ؛ حتى عاد السوق به كما كان، دون تعمير الدروب، والخانات، والمساكن على نحو ما كانت[٤].

بينما تثبت حوادث سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) **أن الأثر الذي بَذَّله العامل الأمني في محلة الحريم الطاهري مدهش للغاية**؛ فالمؤشرات، والأدلة التاريخية تُظهر للمرء **نموًّا عمرانيًّا أنجزه العباسيون في تلك المحلة**؛ حيث بُنيت الدور،

(١) يقولون: "كرخت الماء وغيره إلى موضع كذا، أي جمعته فيه في كل موضع"، ومحلة الكرخ أول نشأتها كانت في وسط بغداد زمن أبي جعفر المنصور، والمحال حولها، ثم صارت محلة وحدها مفردة في وسط الخراب، وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها، وأهل الكرخ كانو كلهم شيعة إماميّة – وعلى حد وصف ياقوت الحموي – لا يوجد فيهم سُنيٌّ!!؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤/ص٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) ابن الفقيه: البلدان، ص٢٨٨، ٣٠٩.

(٣) صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٥م، ج٢/ص٦١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص٦٢.

والقُصور لأفراد الأسرة العباسية[١]، وبذلك صارت مركزًا استراتيجيًا مثاليًا – على الطرف الآخر من نهر دجلة – وبديلًا لدار الخلافة في وقت الاضطرابات؛ ومن دلائل ذلك أن السلطان السلجوقي محمود[٢] لما دخل بغداد غازيًا "نزل ببعض عسكره إليها فنزلوا في دُور الناس، وانبثوا في الحريم (حريم دار الخلافة)، وغيره؛ فأمر الخليفة (المسترشد)[٣] **بنقل الحَرَم، والجواري إلى الحريم الطاهري** من الجانب الغربي"، وبعد هزيمة أصحاب السلطان، وهروبهم من بغداد؛ باشر الخليفة، وأعوانه؛ نقل الحَرَم، والرحل (الأمتعة وما يستصحبها)– الذي كانوا أودعوه **في الحريم الطاهري** – إلى دار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد[٤].

والجدير ذكره في هذا السياق أن **محلة الحريم الطاهري** ظلت مزدهرة؛ حتى **أصابها الانحسار والانهيار**، والذي **يرجع بشكل عامٍ إلى كثرة مياه الفيضان** الذي أضرَّ بها، والتي برزت مشاهده، وآثاره مع مجيء القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ **فتهدمت القصور، والدُّور** وصارت بذلك حسب

(١) من ذلك أن الخليفة القادر كان له دارًا خاصة يسكنها بالحريم الطاهري، كما أفرد البساسيري لوالدة الخليفة القائم دارًا في الحريم الطاهري سنة ٤٥١هـ/١١٤٦م؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٤/ص٣٣٩، ج١٦/ص٤٤.

(٢) محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب رسلان، تولَّى السلطنة بعد أبيه؛ فخُطب له على منابر بغداد، وغيرها في أول سنة (٥١٢هـ/١١١٨م)، كان ذكيًا عارفًا بالنحو، وله ميلٌ إلى العلم، توفي شابًا في شهر شوال بهمذان (سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م)؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١/ص٤٤٠.

(٣) المسترشد بالله بن أحمد المستظهر بالله، وِلادته سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م)، بُويع بالخلافة في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٥١٢هـ/١١١٨م)، كان ذا شهامة وهيبة، وشجاعة، وإقدام في الأمور، قتله الملاحدة ببلاد أذربيجان سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م)، ودُفن بمراغة؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢٠/ص١٤٣، ١٤٤، ١٤٨.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧/ص٢٣٦، ٢٤٢.

تعبير لسترانج[١] **قاعًا قفصفًا خالية من السكان** وبالأخص الأجزاء القديمة منها، بينما نلحظ أن **المحلة** في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي **اندرست معظم معالمها** فحسب مشاهدات ابن شمائل القطيعي[٢] **للمحلة** لاحظ أن **نهر دجلة قرض أكثرها**، والذي أدى إلى تدمير **دُورِها الشاطئية وانحسارها داخل مياه دجلة** كما يفهم من رواية ابن شمائل، يؤكد هذا ما سجَّله ابن بطوطة[٣] المتوفى سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) في مشاهداته لمدينة بغداد عام (٧٣٠هـ/١٣٣٠م) من أن **الجانب الغربي منها خراب أكثره**، مشيرًا إلى بعض أطلالها بقوله: **والبيمارستان قصر كبير خرب بقيت منه الآثار**.

رابعاً:- **سبب التسمية**

من الصعب إن لم يكن من غير الملائم البحث عن سبب تسمية **محلة الحريم الطاهري** دون القيام بمعالجة استقصائية لما ورد حول **المحلة** من أوصاف؛ تلك المعالجة التي لا تؤدي إلى تعيين سبب التسمية وحسب؛ ولكنها تسمح – في ذات الوقت – بتجاوز السبب، وصولًا إلى تحليل التطور الطارئ على المسمى ذاته، والنتائج المترتبة عليه. وتمثل ملاحظات المصادر التاريخية، والجغرافية فائدة لِي لمعرفة أصل التسمية، وتطوُّره؛ فالنصوص الواردة في هذا الصدد تُسوِّغ الاعتقاد بأن **المحلة بما فيها من قصورٍ ملكية للأسرة العباسية، وغيرها**؛ كانت تُعرف بـ "**دار طاهر**[٤]، **ودار ابن طاهر**"[١]. ولعل من المفيد ذكره

(١) بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص٩٦.

(٢) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١/ص٣٩٧.

(٣) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ، ج١/ص٦١.

(٤) وكلمة دار تعني: العمارة الفخمة، أو قصرًا، أو مسكنًا ضخمًا يتكون من بناء واحدٍ، أو عدَّة أبنية؛ جورج مقدسي: خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ص١٣.

أن تلك الدار تردد ذكرها عند الطبري في تاريخه[٢]، وبخاصة في ثنايا حديثه عن: عودة الخلفاء العباسيين من سامراء[٣]، ومحاولتهم إعادة نقل العاصمة إلى بغداد ثانية، تلك المحاولة التي أحدثت زيادة في الإعمار، والتوسع؛ بإنشاء قصور ملكية جديدة[٤]؛ لتكون مقرًا لأولاد الخلفاء، وذويهم **بالمنطقة المعروفة بـ "دار ابن طاهر"**، والأخبار الواردة في هذا الشأن تُجلِّي هذا؛ فعريب بن سعيد القرطبي[٥] المتوفى سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م) يذكر:" وكان جعفر بن المعتضد[٦]

=

(١) المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قُم، ١٤٠٩هـ، ج٤/ص٦٠، ١٨٤، ١٨٥،٢٢٢، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٦٤؛ التُنوخي: المحسن بن علي بن محمد، ت٣٨٤هـ/٩٩٤م، الفرج بعد الشِّدة، تحقيق: عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٢/ص٥٣، ٨٨، ٩٠، ٢٥٢.

(٢) من ذلك قوله في حوادث سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م): " **نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره**"، " ...**إذا قدموا بغداد إلى الجزيرة التي حذاء دار محمد بن عبد الله بن طاهر**"، ج٩/ص٢٨٣.

(٣) سامراء: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة، وفي نُطقها لغات: سامرّاء، وسامرّا، وسرّ من رأ (مهموز الآخر)، وسرّ من را (مقصور الآخر)، وهي مدينة استحدثها الخليفة العباسي المعتصم سنة (٢٢١هـ/٨٣٥م)، وجعلها منزلًا له، ولجنده من الأتراك، وكان الخلفاء يسكنونها بعده إلى أن خربت؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣/ص١٧٣، ١٧٤.

(٤) يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ص٢٠٥.

(٥) صلة تاريخ الطبري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د، ت، ص١٦، ١٢٦.

(٦) المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد، أمه أم ولد تسمى: "شغب" أدركت خلافته، مولده في سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، بُويع له بالخلافة يوم مات أخوه "المكتفي بالله" في الثالث

=

بدار ابن طاهر التي هي مستقر أولاد الخلفاء"، و "**دار ابن طاهر التي كان فيها أولاد الخلفاء**"، وفي نص آخر نلحظ فيه أن الخليفة المستكفي(١) "طلب الفضل بن المقتدر(٢) طلبًا شديدًا فاستتر منه؛ فأمر **بهدم داره التي على دجلة بدار ابن طاهر** فهدمت فلم يبق منها غير المُسناة(٣)"(٤).

وَلدَى قراءة عَددٍ آخر من النصوص يُصبح من الأيسر فهم تطوُّر مُسمى

=

عشر من ذي القعدة سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م)، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، يُعدُّ أصغر من تولى الخلافة سِنًا، خُلع مرتين وأعيد، مات مقتولًا يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)؛ ابن الفُوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق، ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١/١٤١٦هـ، ج٦/ص٤٥١، ٤٥٢.

(١) المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي، أمه أم ولد تسمى"" غصن" لم تدرك خلافته، مولده في سنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م)، بُويع له بالخلافة يوم خُلع ابن عمه: "المتقي" سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م)، وعمره إذ ذاك أربعون سنة، خُلع من الخلافة سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، وظل محبوسًا في محبسه إلى أن توفي سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م)؛ ابن الفُوطي: مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٥/ص٢١٤، ٢١٥.

(٢) أبو القاسم الفضل بن المقتدر، أمه اسمها: مَشْغلة أم ولد، مولده في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) بُويع بالخلافة بعد خلع المستكفي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) ولُقِب بالمُطيع لله، عزل نفسه من الخلافة، وسلَّمها لابنه الطائع سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) بعد أن تمكَّن منه مرض الفالج، ومات في المحرم سنة (٤٦٤هـ/٩٧٤م) بعد ثلاثة أشهر من العزل؛ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٣/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١٥/ص١١٣، ١١٧، ١١٨.

(٣) المسناة: سدٌ، أو جدارٌ كان يُبنى في عرض الوادي؛ ليحبس الماء حتى يفيض، أو يسيل على الأرض؛ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن، ت٣٢١هـ/٩٣٣م، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١/١٩٨٧م، ج٢/ص١٠٢٢.

(٤) محمد بن عبد الملك الهمذاني، ت٥٢١هـ/١١٢٧م، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١/١٩٥٨م، ص١٤٤.

المحلة من: "**دُور ابن طاهر**" **إلى: "محلة الحريم الطاهري"**؛ فالطبري يروي أن الخليفة المعتضد المتوفى سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م) كان قد "أوصى أن يدفن **في دار محمد بن عبد الله بن طاهر**، فَحُفر له فيها، فحُمل من قصره المعروف بالحَسَني[١] ليلًا، فدفن في قبره هناك"، وفي زيادة عند المسعودي[٢] "وقد كان أوصى أن يدفن **في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، في الجانب الغربي** من الدار **المعروفة بدار الرخام**"، هذا وقد قام ابن عمه عبد الله بن المعتز[٣] يرثيه فوصف تلك الدار **بالطاهرية** قائلًا:

يا ساكن القبر في غبراء مظلمة بالطاهريّة مقصى الدار منفردًا[٤].

بينما أوضح عريب في صِلته[٥] أن الخليفة المكتفي بالله على بن أحمد

---

(١) القصر الحَسَني: يقع في الجانب الشرقي من بغداد على شاطئ دجلة تحت نهر مُعَلَّى، يُنسب للحسن بن سهل، والقصر في الأصل كان لجعفر البرمكي، ثم تنازل عنه للمأمون، ثم صار للحسن بن سهل، ومنه لابنته بوران فاستنزلها عنه: الموفق، أو المعتمد، أو المعتضد على خلاف، وبعد عودة الخلفاء من سامراء إلى بغداد ثانية؛ اتّخذوا هذا دارًا للخلافة؛ مقدمة كتاب: الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني، ص١٥، ١٦، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٤١٦؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٢/ص٣٣٥.

(٢) مروج الذهب، ج٤/ص١٨٤.

(٣) عبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين واسمه محمد بن جعفر المتوكل، ولد سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) كان متقدمًا في الأدب، غزير العلم، بارع الفضل، حسن الشعر، بويع له بالخلافة بعد خلع المقتدر في المرة الأولى سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) فمكث يومًا في الخلافة، واختلف القوم عليه فاختفى، وأعيد المقتدر ثانية، وتمكن منه، وقتله في ربيع الأول من ذات السنة؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١/ص٣٠٢.

(٤) ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٤٨.

(٥) صلة تاريخ الطبري، ص١٥، ١٦.

توفي سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م)، "ودفن يوم الاثنين **في دار محمد بن عبد الله بن طاهر**"، وفي سياق متصلٍ يذكر الخطيب البغدادي[١] أن وفاة الخليفة القاهر سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) "**كانت في منزله من دُور ابن طاهر**".

وهكذا ظلت **تلك الدار حرمًا يجمع رُفات الخلفاء العباسيين، وذويهم**، إلى أواسط القرن السابع الهجري، ففي عام (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) شهد نهر دجلة زيادة مُفرطة؛ أدَّت على حدوث فيضانٍ غمر تُرب هؤلاء للخلفاء، وغيرهم، وكنتيجة لهذا الغَمْر؛ أمر القائمون على تلك التُّرب بنقلها **من محلة الحريم الطاهري إلى الرصافة من الجانب الشرقي**، فرُفات الخليفة المستضيء بأمر الله[٢] نُقِلت، ومعه توابيت فيها: أخته عائشة المعروفة بالفِيْرُوزجيَّة[٣]، وولده أبو منصور[٤]، وولدان للظاهر[٥]، وزوجة الظاهر[١]، كما نُقل أيضًا برفقة هؤلاء رفات كُلًا من:

---

(١) تاريخ بغداد، ج٢/ص١٩٣.

(٢) المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله، وِلادته سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م)، وأمه أرمنية اسمها: غَضَّة، بُويع بالخلافة وقت موت أبيه في سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)، في خلافته زالت دولة (الفاطميين) العبيدية بمصر، وخطب له بها، كان من الأئمة المُوفقين، كثير السخاء، حسن السيرة، مات في شوال سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١/ص٦٨-٧٠.

(٣) عائشة بنت الإمام المستنجد بالله يوسف بن المقتفي، مُسنَّة معمرة، ذات دين وصلاح، أدركت خلافة أبيها، وأخيها، وابن أخيها الناصر، وابن ابن أخيها الظاهر، توفيت سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، عمَّرت نحوًا من ثمانين سنة؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤/ص٣١٩، ٣٢٠.

(٤) الأمير أبو منصور هاشم توفي سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٩/ص٤٦٩.

(٥) الأول: منصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، أبو جعفر بويع بعد موت أبيه الظاهر في =

المعتضد بالله بعد ثلاثمائة، ونيف وخمسين سنة، والقاهر أخو المكتفي بعد ثلاثمائة سنة، وابن أخي القاهر بعد مائتين، وتسعين سنة، والمستكفي بعد ثلاثمائة، وعشر سنين[٢]. كما تُفسِّر بعض المرويات أن المظهر العام، والأسلوب المعماري و**الذي تمايزت به محلة الحريم الطاهري**؛ من حُسن قُصورها، ودُورها الشاطئية، وسورها الدائري، وبابها الحديدي؛ **جعلها وحدة منفصلة، أو مدينة مستقلة**[٣].

وبعد هذا العرض يمكنني أن أقدِّم جوابًا لسبب تسمية، "**محلة الحريم الطاهري**"؛ فاستيطان بعض الخلفاء، وأولادهم، وكذا أقربائهم، لهذه المنطقة ردحًا من الزمن يبرر **التسمية بمحلة الحريم**، إضافة إلى احتوائها على تُرب عدد من

=

في رجب سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) وتوفي سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، والآخر: أبوعبد الله العباس توفي سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٤/ص٣٣٠؛ ابن الفُوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق، ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٨٩، الحاشية رقم(٣).

(١) هي: حياة خاتون إحدى جواري البلاط العباسي، اشتراها الظاهر بمبلغ يقدر بـ "١٧,٠٠٠ألف ينار" فكانت محظية لديه، ومقرَّبة منه، وبعد موت الظاهر سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أعتقت حياة، وبقيت داخل القصر العباسي حتى وفاتها سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م)؛ سُولاف فيض الله حسن: دُور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١/٢٠١٣م، ص١٦٤، ١٦٥.

(٢) ابن الفُوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص١٨٣، ١٨٩.

(٣) جورج مقدسي: خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ص٢٢، ٣٢.

الخلفاء، وذويهم[١]. كما نلحظ أن إحاطتها بسورٍ **دفعها لتظفر بخاصيّة الملجأ، والملاذ، والحَرم؛** فليس لأحد أن يقيم فيها أيَّة مزروعات، أو أبنية ما لم يأذن بها صاحبها، مثلها مثل: **حريم دار الخلافة** في الجانب الشرقي من بغداد المحاطة بسور يفصلها عن دُور العامة[٢]، في مقابل هذا يرى البعض[٣] **أن مُسمى الحريم الطاهري** كان متأثرًا بصورة مباشرة بخُططه الأولى؛ **فقصر الطاهر عُرِف** كأحد المباني المهمة في بغداد الغربية، فهو أشبه بالقصر المَلكيّ؛ فكل من لجأ إليه كان آمنًا. **ولا شك عندي في أن هذا الرأي** استند على قول ياقوت الحموي[٤] والذي جاء فيه: "**الحريمُ الطاهري:** بأعلى مدينة السلام بغداد في الجانب الغربي، منسوب إلى طاهر بن الحسين ...، وبه كانت منازلهم، وكان من لجأ إليه آمن، **فلذلك سُمِّي الحريم، وكان أول من جعلها حريمًا** عبد الله بن طاهر بن حسين، وكان عظيمًا في دولة بني العباس، ولا أعلم أحدًا بلغ مبلغه فيها حديثًا ولا قديمًا، ... **ولما أراد عمارة قصره ببغداد وهو الحريم هذا،** ...كانت العمارات متصلة وهو في وسطها".

قلت: والواقع أن ياقوت لم يكن مصيبًا في قوله على حد علمي؛ فلسنا

(١) صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، ج١/ص٢٠٠، ٢٠١.

(٢) جورج مقدسي: خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ص٣٢، ٧٥؛ مكسمليان شتريك: خُطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ترجمة: خالد إسماعيل علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٣١.

(٣) غي لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة: بشير يوسف فرنسيس، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط١/٢٠١٣م، ص٩٥؛ مصطفى جوّاد، أحمد سوسة: دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديمًا وحديثًا، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص٩٤.

(٤) معجم البلدان، ج٢/ص٢٥١.

نمتلك بيّنة مَوثوقًا بها تؤكد صحة مقولته، **فأقدم المصادر "الجغرافيّة، والتاريخيّة"** ذات الصلة، والمتأخرة للقرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[١] لم تتضمن مثل هذا الوصف، فضلًا عن ذلك: فإن أقدم ذكر **لمُسمَّى الحريم الطاهري** ورد في كتاب "ذيل تجارب الأمم"[٢] حيث ذُكِر أن حوادث سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م) شهدت إرسال الخليفة الطائع لله[٣] جماعة للقبض على أخيه القادر بالله[٤] فأصعدوا في الماء **إلى داره بالحريم الطاهري**، وبما أن مسكويه المتوفى سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) لم يُورِد في ثنايا تاريخه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) والذي توقَّف فيه عند أحداث سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م)؛ **أيَّة ذكر لمسمَّى الحريم الطاهري**، فمن الطبعي إذًا أن هذا الاسم بدأ استعماله على الأقل بعد هذا التاريخ بفترة من

(١) من تلك المصادر: سُهراب وكتابه: "عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة"، ابن الفقيه وكتابه: البلدان، ابن طيفور وكتابه: "بغداد"، فضلًا عن: المرويّات، كروايات محمد بن خلف وكيع المتوفى سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) عن أوصاف بغداد، ومحلاتها، والمبثوثة في المصادر المتأخرة عن القرن الثالث الهجري، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(٢) ظهير الدين الرُوذرَاوَرى: الوزير أبى شجاع محمد بن الحسين، ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م، ذيل تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٣/ص١٤٨.

(٣) عبد الكريم الطائع لله بن الفضل المطيع لله بن جعفر بن المقتدر، يكنى أبا بكر، مولده في سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)، وأمَّه أم ولد اسمها: عتب، تولى الخلافة بعد أن خلع والده "المطيع" نفسه طائعًا غير مكره سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م)، قُبض عليه، وخلع سنة (٣٨١هـ/٩٩١م)، وتوفي في ليلة عيد الفطر سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ص٣٥٩.

(٤) أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد، الخليفة القادر بالله، مولده في سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م)، وأمه "تمني" مولاة عبد الواحد بن المقتدر، بويع بالخلافة عند القبض على الطائع لله، توفي ليلة الاثنين حادي عشر من ذي الحجة سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)، ومدة خلافته: إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩/ص٣٧٤.

الـزمن[١]. وهكـذا فـإن **قيمــة محلــة الحــريم الطــاهري** تتجـاوز النصـوص ذات الدلالات الفنية الجغرافية، لتظهر أنها **محلة تمايزت** بأنها ثمرة ذاتية التطوير لها عدّة أطوار، أو أدوار، شأنها في ذلك شأن المدينة الأم بغداد[٢].

خامساً:- الحدود الجغرافية

علـى الـرُّغم مـن أن المصـادر الجُغرافيـة، والتاريخيـة لـم تـذكر **الحــدود الجغرافيــة لمحلــة الحــريم الطــاهري صــراحة**، إلا أنَّنـي وجدت ذكرًا لطائفة من المعلومات[٣] أعانتني تقدُّمًا في بناء تصوُّرٍ صحيحٍ للحدود الجغْرافية لها. هذا وتقع **محلــة الحــريم الطــاهري** بـأعلى الجانـب الغربـي مـن بغداد بمحـازة الضـفة الغربية لنهر دجلة، الذي يحدُّها شرقًا، بينما حدَّها الغربي محلة الحَرْبية، وفي جنوبها عند الجسر الكبير مع امتداد قطيعتي سليمان، وصالح ابني أبي جعفر المنصـور[٤]، وشـمالًا بـاب التِّبن[٥]، ومحلـة الكـاظمين[١]. ويسـتوقِفُني فـي هـذه

(١) صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، ج١/ص٢٠٠.

(٢) يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ص٢٤٥.

(٣) **تحصلت عليها من:** اليعقوبي: البلدان، ص٤٢، ٤٣؛ ابن الفقيه: البلدان، ص٢٩٧، ٢٩٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٣٨٠، ٤٠٣؛ غي لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص٨٩–٩٨؛ ص١١٧–١٢٢؛ يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ص١٤٥ حاشية رقم:(١٣)، ص١٦٣، حاشية رقم:(٤)، ص١٦٦–١٦٩، الحواشي أرقام:(٢٦، ٣٦، ٤٢)، ص١٧١، حاشية رقم:(٣٥) ص١٧٥،١٧٦، حواشي رقم:(٥)، (١٢)، ص١٩٦، حاشية رقم:(٧)؛ مكسمليان شتريك: خُطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ص١٠٧؛ صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، ج١/ص١٩١، ١٩٢.

(٤) اليعقوبي: البلدان، ص٤٢؛ غي لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص٨٩.

(٥) **ينسب إلى التِّبن الذي تأكله الدواب**، وهي اسم لمحلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق (الطاهري) بإزاء قطيعة أم جعفر شمال الجانب الغربي من بغداد؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١/ص٣٠٦.

الحدود – بصورتها تلك – أن **محلة الحريم الطاهري** شهدت تحولات عدّة شمل مجالها العمراني، والذي امتد عبر المحلات المجاورة كما يظهر من النصوص الجغرافية المتأخرة(٢)، فضلًا عن تحولها السُكَّاني، والذي شهد قدرًا هائلًا منها حيث توسع محتواها البشري.

سادساً:- التطوُّر العمراني

(أ):- ملامح الوحدات العُمرانيَّة ونموُّها

في الحقيقة تمدنا المعلومات المتوفرة لدينا حول **الأحياء السكنيَّة وتنظيمها في محلة الحريم الطاهري** بتكويناتها من: إقطاعات، ودُورٍ، ودُروبٍ، والتي شكلت جزءًا مهمًّا من مظاهر **التنظيم السُكاني الذي تعزَّزت معه** المسؤوليات الاجتماعية، فضلًا عن إبرازها للنشاط السَكَني للقاطنين بها، كإحدى الانعكاسات لمجمل ظواهر التطور العمراني للمحلة.

=

(١) تُعرف بهذا الاسم **نسبة لمن دُفن بها من الكاظمين:** موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وحفيده محمد الجواد، والأصل في هذه المحلة أنها كانت تعرف مع نشأة بغداد بمقبرة قريش الكبرى، فأبو جعفر المنصور جعلها مقبرة لمَّا ابتنى بغداد، وكان أول من دُفن فيها من آله: ولده الأكبر جعفر، وفي العهود المتأخرة بعد أن حلَّ بها **مشهد الكاظمين** – على نحو ما ذُكر – **صارت تُدعى بالكاظمين**؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٤٤٢؛ غي لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص١١٩؛ محمود شكري الآلوسي: أخبار بغداد وما جاورها من بلاد، ص١٩٥، حاشية رقم:(٣).

(٢) **قلت: الحريم الطاهري كان مجاورًا لمحلة باب البصرة جنوبًا**؛ يُستدل على ذلك بما سجَّله ابن بطوطة المتوفى سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) في مشاهداته لمدينة بغداد عام (٧٣٠هـ/١٣٣٠م) حيث قال عن البيمارستان العضدي الواقع في حيز **محلة الحريم الطاهري:** " والمارستان فيما بين محِلَّة باب البصرة، ومحِلَّة الشارع على الدّجلة، وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار"؛ رحلة ابن بطوطة، ج٢/ص٦١

وبالنظر فيما تُورِده مرويَّات المصادر نكتشف **أن الإقطاعات الممنوحة لأمراء آل طاهر، أو التي امتلكوها تباعًا** تميل إلى الخُصوصية في تكوينها البشري؛ فالتنظيم السَكني، أو العُمراني داخل المحلة منذ أيامها الأولى كان قائمًا على أساس **الانتماء الاجتماعي في الأساس، والمذهبي، والعِرْقي بصورة أقل؛** ذلك لأن **الإقطاعات خططت لكي يكون كل منها خاص بفرقة، أو قبيلة بعينها؛** فاليعقوبي[١] بيّن أن قطعية كذا لفلان، وأتباعه، أو لفلان، وأصحابه، أو أنها لموالي، وحواشي فلان، أو فلانة، وهكذا. وفي هذا المقام يَحقُ لي أن أطرح تساؤلًا، وهو: **كيف كان التنظيم الداخلي (السكني) للإقطاعات** في تلك المحلة؟، إجابة أقول: لقد شهد النشاط السَكني في **محلة الحريم الطاهري** العديد من المتغيّرات ذات الدلالات المهمَّة، كان لها آثارها على تنظيمها الداخلي، خُططًا، وإقطاعًا، بيد أنه ينبغي علينا التعرف على كُنه تلك الإقطاعات كوحدة تقسيم استخدمت في توزيع النشاط السكني في تلك الأثناء.

وتُعدُّ قطيعة طاهر بن الحسين التي أقطعها إيَّاه الخليفة المأمون بالجانب الغربي من بغداد بداية لهذا التنظيم، والذي بدا عائليًّا، وعشائريًّا؛ **فآل طاهر، وحواشيهم استوطنوها، وبها كانت منازلهم**[٢]. تلك العشيرة؛ أبويَّة النَّسب، والتي امتدت لأجيال، وأجيال، كانت صاحبة الوكالة الرئيسة – إذا جاز لي التعبير– لتلبية **توسيع رقعة محلة الحريم الطاهري، فكان توجُّه آل طاهر للتوسع الأفقي؛ فالدار الأولى** لإسحاق بن إبراهيم المُصعبي، ابن أخي طاهر بن الحسين (المتوفى سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م) صاحب الشرطة زمن المأمون، وحتى أيام الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢–٢٤٧هـ/٨٤٦–٨٦١م)، كانت تحديدًا في قطيعة

(١) البلدان، ص٤٣.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢/ص٢٥١.

البَغِيّين[١]، في ناحية من نواحي تلك المحلة[٢]، **أما داره الثانية** – وهي الأشهر – فقد تردَّد تَعيين موقعها بالمصادر؛ فسُهْراب[٣] ذكر في معرض حديثه عن: **نهر الخندق الطاهري** أنه "يمر في **وسط قطيعة (الزبيدية) أم جعفر**[٤]، ويصب في دجلة **فوق دار إسحاق بن إبراهيم** بشيء يسير"، بينما نوَّه ابن الفقيه[٥] لذلك بقوله: "ويتصل بالقطيعة **دار إسحاق بن إبراهيم، وكانت جزيرة فأقطعها المأمون إسحاق،** فأولها يتصل بدار البطيخ، وآخرها بمقابر باب التِّبن". **قلت: ويتبيَّن مما سبق** أن دار إسحاق هذه تشكَّل معها **توسعًا أفقيًّا جديدًا** للمحلة؛ **فهي جزيرة بحذاء محلة الحريم الطاهري** بطرفها الشمالي الشرقي، يفهم هذا من سياقات حديث الطبري[٦]عنها، والتي جاء فيها: "فَمُدَّت إلى **الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر**"، "وعادت العامة، والتجار بعدُ إلى **الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر**"، " فمَضَت إلى **الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر**"، "وفي يوم الأضحى من هذه السنة[٧] صلى بالناس المستعين صلاة الأضحى في **الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر**".

وإضافة إلى هذا لنا أن نتخيَّل عِظَم التطور العمراني الذي شهدته **محلة**

(١) البَغِيّين: طائفة من أبناء خرسان أصلهم من قرية من قرى مَرْو الرُّوَذ تُعرف ببغ؛ ابن الفقيه: البلدان، ص٢٩٧.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص٤٢، ٤٣.

(٣) عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، ص١٣١، ١٣٢.

(٤) السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور أبي جعفر، كنيتها أم جعفر الهاشمية العباسية، والدة الأمين محمد بن الرشيد، كانت لها حرمةٌ عظيمةٌ، وبرٌ وصدقات، وآثارٌ حميدة في طريق الحج، توفيت سنة ٢١٦هـ/٨٣١م، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥/ص٣١٤.

(٥) البلدان، ص٢٩٨.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٩/ص٣٠٦، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٢.

(٧) يقصد سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م.

الحريم الطاهري، فطريقة **التوسع الأفقي** التي تبنَّاها الطاهريون –فيما يبدو– نتج عنها **أن القسم الأقدم، والأسفل من قطيعة الزبيدية** صار على حسب وصف غي لسترانج[١] "**أحد أطراف الحريم الطاهري العظيم**، ... ويطلُّ – أيضًا– على دجلة والفرضة[٢] العليا". ومن ثمَّ فإن الملاحظات التي جاءت عن تلك القطيعة تعكس هذا التطور بصورة كبيرة، ولا تترك مجالًا للشك في كونها إضافة عمرانية آهلة بالمنازل، والدُّروب، والمنشآت كما يفهم من النصوص[٣]. وعلى أيَّة حال فمن الواضح **أن هذه الخصيصة التنظيمية** (العشائرية الأبويَّة) قد أثرت على الشكل الذي تتخذه تلك **الإقطاعات**، إذ كانت تميل إلى الاتصال ففي **كل طَرفٍ منها قُرى متصلة، وعمارات مادة**[٤]، ولعل هذه النزعة التنظيمية كانت سببًا رئيسًا في عناية **آل طاهر بالخندق الطاهري**؛ رغبة منهم في السيطرة على الأمن، والحد من انتشار العابثين بالنظام العام بالمحلة[٥].

وحتى ندرك تمامًا **النَّمو العمراني الفريد لمحلة الحريم الطاهري**، وتكوينها الملكي، ونموُّها التالي كمركز ثانويٍّ لأهل السلطة، وأتباعهم، فإن ثمَّة أمور مجتمعة **تُميِّز محلة الحريم الطاهري**؛ لعل أبرزها: " **أنها لم تكن وَحْدَوِيّة**

(١) بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص٩٥.

(٢) الفُرضة من النهر: ثُلمة يُستقى منها، والفرضة من البحر: محط السفن، أو مرفأ السفن؛ مرتضى الزَّبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزّاق، ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١٨/ص٤٨٤.

(٣) اليعقوبي: البلدان، ص٢٩٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣/١٣٠، ج٥/ص١١٩، ١٤٩، ٣٩٢، ج٧/٤٣٧، ٦٤٩، ج١٢/٣٣٠، ج١٥/ص١٤٦؛ ابن شمائل القطيعي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١/ص٣٩٧، ج٣/ص١١٠٩.

(٤) اليعقوبي: البلدان، ص٤٤.

(٥) صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، ج٢/ص١٣٦، ١٣٧.

الطبقة" بل تباين نمطي لسكانها، بالإضافة إلى **اتساعها، وتوسع ضواحيها**. هذا وتتكرر الإشارات إلى حدوث **تطوُّراتٍ في الوحدات العمرانية داخل محلة الحريم الطاهري** مع مرور الأيام، يفسِّر هذا ما نصَّ عليه اليعقوبي(١) حين قال: " وفي هذه **الأرباض، والقطائع** ما لم نذكره لأن كافة الناس **بنوا القطائع، وغَيْر القطائع، وتوراثوا**".

وحسب اعتقادي فإن نموًّا بهذا الشكل– وحسب إشارة سابقة – كان ثمرة لعدَّة أدوار من التطور الذاتي، وإذا كانت القطائع وعاءً بشريًا مُمَيَّزًا في وظيفتها السكنية العمرانية، فإن نوْعًا آخرًا غير القطائع احتوى على عدد كبير من الوحدات العمرانية مثل: القُصور، أو الدُّور، والدُّروب، والسَّكك. ومن اللافت للانتباه أن الجانب الغربي بما يتضمَّنه من محلات كمحلة **الحريم الطاهري** بلغ عدد دُروبه، وسككه ستة آلاف درب، وسكة(٢)، واستنادًا على ذلك يمكنُني أن أَرْكن إلى بعض التفسيرات المُمكنة؛ من قبيل القول: **بوقوع تطوُّر في ملكيات خُطط الحريم الطاهري، وسككها، ودُروبها**، تحت مؤثرات **بُيوتات الأسرة العباسية، وكبار رجالات الدولة؛ بالنظر إلى حجم الأسر، والعوائل التي استوطنتها، فأولاد الخلفاء جعلوها مستقرًا لهم**(٣)، هذا وقد أشار ابن الجوزي(٤) إلى أن إبراهيم بن المقتدر(٥) ابتاع **قصورًا بالحريم الطاهري** "بثلاثين ألف دينار،

(١) البلدان، ص٤٣.

(٢) الخطيب البغدادي: ج١/ص٤١٥.

(٣) عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص١٦، ١٢٦.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك الأمم، ج١٣/ص١٨٩.

(٥) وهو الخليفة المتقي بالله إبراهيم بن المقتدر، بُويع له بالخلافة بعد موت أخيه: الراضي سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) و هو ابن أربع و ثلاثين سنة، أُمهُ أَمَة اسمها: "خلوب"، و قيل: "زهرة"، خُلع من الخلافة بعد سَمل عينه سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م)، زُجَّ به في السجن طيلة =

واتخـذت للأمـراء مـن أولاد الخليفـة دورٌ"، بينمـا تشـير الشـواهد التـي تُظهِرهـا الروايات – ذات الصلة – أن تغييرًا عمرانيًّا هائلًا طرأ على مواضع الدُّور بتلك المحلة، **فتحول بعضها إلى حريمٍ كدار الخلافة؛** لاتخاذها من الخلفاء وذراريهم مقامًا رسميًا لهم، فيذكر الطبري[١] أن "الخليفة المقتدر" **كان يقطن بالحريم الطاهري** في "**دار ابن طاهر**" حين تولى الخلافة، بينما في موضع آخر يذكر أنه لما قُتل الخليفة العباسي المقتدر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) "حُمل أبو العباس، ،أبو عبد الله ابنا المقتدر مع أمهما الى **دار عبد الله بن طاهر**" **بالحريم الطاهري،** وأن "الفضل بن المقتدر"[٢] كانت **داره على ضفاف نهر دجلة بمحلة الحريم الطاهري بـ" دار ابن طاهر**"[٣].

في مقابل هذا يبدو واضحًا أن الصُّور التي تُظهرها المعلومات الواردة؛ **تُبرز لنا أن محلة الحريم الطاهري كانت أكثر محلات الجانب الغربي** ملاءمة لسكنى الأسرة العباسية، فحسبما يفهم من قراءة النصوص أن هذا الاستيطان أدى إلى نمو عمراني مطرد – منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي– داخل التنظيم الأوسع للمدينة الأم، بحيث ظلت **تلك المحلة مَقامًا بارزًا للعباسيين، وحواشيهم؛** من ذلك: أن والدة الخليفة كَتَبت في عام (٤٥١هـ/١٠٥٩م) رُقعة

=

خمس وعشرين سنة إلى أن مات في شهر شعبان سنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م)؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ/١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١/١٣٧١هـ، ص٣٤١.

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج١١/ص١٩١.

(٢) الخليفة العباسي الملقب بـ "المطيع لله" سبق الترجمة له.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١/ص١٥٥، ٣٤٩.

إلى البساسيري[١] من مكان كانت فيه مستترة تشرح فيها ما لحقها من الأذى، والضرر، والفقر، حتى إن القوت يعتذر عليها، فما كان من البساسيري إلا أن أحضرها، **وأَفْرَد لها دارًا في الحريم الطاهري**، وأعطاها جاريتين تخدمانها، وأجرى عليها في كل يوم اثنى عشر رطلًا[٢] خُبزًا، وأربعة أرطال لحمًا[٣]، بينما يروي ابن الجوزي[٤] أن أبا عبد الله الحسيني نقيب النقباء العلويين[٥]، المُلقب بالطاهر، **كانت دراه بمحلة الحريم الطاهري**، حتى إنه بعد وفاته عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) دُفن بها لمدة، مضيفًا أن **محلـــة الحـــريم الطـــاهري** شـهدت فـي سـنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م) "هبوب ريح شديدة قصفت النخل، والشجر ...، وتبعها مطر، وبرد كثير؛ ووقع بهذه الريح **حائط من دار بيت القهرمانة**".

(١) أرسلان بن عبد الله البساسيري أبو الحارث التركي مقدم الأتراك ببغداد، قدمه الخليفة القائم على جميع الأتراك، وقلده الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره، ثم خرج على القائم وأخرجه من بغداد، وخطب للخليفة الفاطمي (العبيدي) المستنصر؛ قتله عسكر السلطان طغرلبك السلجوقي سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) وطيف برأسه في بغداد؛ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد، ت٦٨١هـ/١٢٨٢م ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج١/١٩٢.

(٢) الرطل البغدادي كان يساوي الرطل الشرعي، ويُقدِّره البعض بـ (٤٠٦.٢٥) جم؛ فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ص٣٥.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص٤٤.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨/ص٢٠٨، ١٧٥.

(٥) النقابة هيئة إدارية يتولى أمرها "نقيب النقباء" يكون أحدهم نقيبًا على العلويين، والآخر على العباسيين، ويختار من أجلهم بيتًا، وأكثرهم فضلًا، وأجزلهم رأيًا، على أن تجتمع فيه شروط الرئاسة، والسياسة، وتكون مهمته حفظ أنسابهم، ومعرفتها، وتمييز بطونهم، والاهتمام بسائر أحوالهم، وشؤونهم؛ الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د ت، ص١٥٥.

ومثلما كان الحال بالنسبة للأسرة العباسية، كان بعض كبار رجالات الدولة كالوزراء **يقيمون بين جنبات محلة الحريم الطاهري** بصورة لافتة للنظر، وبخاصة مع بدايات القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فطبقًا لما تذكره المصادر نجد أن الوزير فخر المُلك المتوفى سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م) **يعمِّر دارًا (قصرًا) له بأعلى الحريم الطاهري**، يقال لها: الفخرية، وينفق عليها أمولًا كثيرة[١]، ويبدو أنه اتخذه للراحة، والاستجمام في المناسبات؛ لبعده عن محلة الكرخ النقطة المركزية في الجانب الغربي[٢]، بينما نلحظ **دار الوزير** "أنوشروان بن خالد" **تقبع على شاطئ محلة الحريم الطاهري**، وبعد موته عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) دفن بها ثم نُقِل بعد ذلك إلى الكوفة[٣]. فضلًا عن ذلك كان منزل الوزير أبا الفرج بن أبي الفتوح المتوفى سنة (٥٧٣هـ/١١٧٧م) متولي الوزارة زمن الخليفة المستضيء بأمر الله **بمحلة الحريم الطاهري**[٤].

وفي الطرف الآخر من السلم الاجتماعي كان أفناء الناس بمختلف طوائفهم متشابكين تشابكًا وثيقًا مع أهل السلطة في سكنى تلك المحلة، وتكشف الأحداث المتفرقة، والمتنوعة التي ذكرتها المصادر التاريخية – والتي سبق وأن نوَّهت إليها – **أن النمو الهائل للمحلة والذي يمكنني وصفه** – جوازًا – بأنه أقصى درجات الانتفاع **بمحلة الحريم الطاهري** استيطانًا، وتعميرًا، يُفسَّر هذا

(١) سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر، ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١/١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج١٨/ص٢٥٩.

(٢) جورج مقدسي: خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ص٣١.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢٠/ص٣٠٥-٣٠٧.

(٤) ابن الدبيثي: أبو عبد الله محمد، ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م، ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١/١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١/ص٣٧١-٣٧٦.

بالانتقال الواسع للعامة من محلات بغداد إليها؛ **حيث تقاطر الناس إليها؛ للسكنى، والتعمير**؛ فابن الجوزي[١] يذكر في حوادث سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م) أن أمر العيَّارين **بمحلات الجانب الغربي** اشتَّد، فما كان من أهل تلك النواحي **إلا أن هاجروا إلى محلة الحريم الطاهري**؛ فابتاعوا خرابات بها، وعمَّروها. وقد أدى هذا تواليًا إلى امتلاك، واستيعاب الأحياء، ومناطق توطين لعدد من المنشآت، ومن ثم العناصر العمرانية كالدُرُوب، **ولعل أبرز هذه الدُرُوب بمحلة الحريم الطاهري**، درب الأشقر[٢]، ودرب العوج[٣]، ودرب يعقوب[٤].

وعلى هذا النحو أمكن **لمحلة الحريم الطاهري** أن **تمتدُّ عمُرانيًّا** نحو المحلات المجاورة، فالتعدد في **الدُور، والدُروب، وغيرها** من الوحدات العُمرانية كان ضرورة اقتضتها **رقعة محلة الحريم** الواسعة، والتي أخذت تزحف نحو محلة دار الرقيق. وفيما يتصل بهذا التمدُّد، فقد ذُكِرت بعض الملاحظات التي بيَّنها ابن شمائل القطيعي في كتابه: "مراصد الاطلاع" وطبقًا لما يذكره فإن **محلة دار الرقيق** أصابها الخراب وبَقِي منها بقيَّةً، وبمرور الوقت – كما يُفهم – صارت ضمن **محلة الحريم الطاهري**، فيقول القطيعي[٥]: "شارع دار الرقيق: محلة

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥/ص٣٢١.

(٢) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، ج٤/ص٢٦٥.

(٣) القُفطي: جمال الدين أبو الحسن علي، ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١/١٤٠٦هـ، ج٢/ص١٥٦.

(٤) ابن ماكولا: سعد الملك أبو نصر علي، ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٤/ ص٢١٩.

(٥) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢/ص٦٢٧.

متصلة ببغداد **بالحريم الطاهري**، قد بقيت منها بقية، **بها سوق الحريم الآن**"، ويقول معقبًا على قول ياقوت الحموي:" قلت: وهى الآن شارع المحلة[١]، وبها السوق"[٢]، وبهذا الشكل خَلَّفت بِنية دار الرقيق الباقية، واستيعاب **محلة الحريم الطاهري لها** كضاحية؛ صورة لأعمال التطوُّر العُمراني التي كانت **محلة الحريم الطاهري** تسير بموجبها نحو النمو، والرقي، والازدهار.

(ب):- الرِّحاب والمتنزهات

في الحقيقة إن القيمة الكبرى لوصف بغداد، لا يرجع إلى تفاصيلها فحسب، بل أيضًا إلى الروايات التي تظهر الخُطة المنضبطة للمحلات، والوصف المنظم الأوسع ذات العلاقة بحجم السكان، وكثافتهم بها، والتي تُصَدِّق على أن **بغداد مدينة مُدن تجاوزت الأربعين مدينة** – كما أوضحت ذلك سلفًا– ولهذا تُعدّ **محلات بغداد** – في الغالب الأعم – **مُدن تكافئ بغداد ذاتها**[٣]، وتأسيسًا على ذلك أقول: **إن محلة الحريم الطاهري لم تكن مجرد محلة من المحلات المتعددة في مدينة بغداد؛ بل هي مدينة تكافئ بغداد إلى حد كبير**. وعطفًا على هذا، وبالنظر فيما تقدمه المصادر من نصوص حول هذا الموضع فإنه بالإمكان التأكيد على أن **محلة الحريم الطاهري** كان في خُططها مساحات خالية من البناء يُطلق عليها "**الرِّحاب**"[٤]، وإن لم تتناولها المصادر صراحة. فالرِّحاب ذات دلالات على المكان الخالي المميز بالاتساع، والدور العمراني

(١) قلت: وقوله: "وهي شارع المحلة" أي محلة الحريم الطاهري.

(٢) ابن شمائل القطيعي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢/ص٥٠٥.

(٣) يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ص٣٠١، ٣٠٣.

(٤) الرِّحاب: جمع رحبة وهي المكان المتسع والرَّحبة: جمعها رحاب، ورحبات؛ النووي: أبو زكريا محيي الدين، ت٦٧٦هـ/١٣٦٥م، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١/١٤٠٨هـ، ص٢٣٢.

المتداخل مع خطط محلتها، والذي يتضح من استخدامها كمصلى للجنازات، والعيدين، فالموتى من أهل تلك المحلة كان يُصلى عليهم "**بباب الحريم الطاهري، وظاهر الحريم الطاهري**"[١]، ويجدر بالملاحظة هنا أننا نجد إشارة إلى **رحبة أخرى بالجزيرة** التي **بحذاء دار ابن طاهر**، فالطبري[٢] يذكر أن الجزيرة شهدت موكب خروج الخليفة المستعين، وكبار قوَّاده لأداء صلاة الأضحى بها سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م)، مشيرًا إلى أن الخليفة صلى بالناس في هذا اليوم. وبما أن **محلة الحريم الطاهري** ذات شاطئ ممتد على صفاف نهر دجلة فإننا نلحظ وجود **القناطر والجسور** الرابطة بينها وبين غيرها من محلات الجانب الشرقي، والتي مكَّنت المارة من الاستمتاع بالمشاهدة الجمالية للنهر أثناء المرور عليها، بالإضافة إلى تحفتها المعمارية التي يتوق المرء إلى رؤيتها، والمرور عليها[٣]، ولعل **أبرز وأشهر متنزهات محلة الحريم الطاهري** ما كان يعرف بـ "**مسناة الحريم الطاهري**" المخصصة للتنزه، والاستماع بالفرجة، ومشاهدة ظلال أشجارها، وهوائها الرقيق[٤].

بينما نلحظ **أن الدار المُعزية**[٥] **الكائنة بأعلى محلة الحريم الطاهري** بحضرة شارع دار الدقيق صارت متنزهًا لعلية القوم؛ حيث قام فخر الملك في رمضان سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م) "بنقضها واستيثاق عمارتها، وتغيير أبنيتها،

(١) الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج١/ص٥٣٥، ٤٩٠، ج٢/ص٢٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٩/ص٣٤٢.

(٣) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت،(أغسطس ١٩٨٨م)، ص١٧٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص٢٥٠.

(٥) تُنسب لمعز الدولة بن بويه الذي بناها، وعظَّمها، وغرم عليها ألف ألف دينار (مليون دينار)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧/ص٧٠٤.

وعمل دور الحواشي جوارها، وأنفق عليها الجملة الكثيرة ...، وجعل فيها المجالس الواسعة والحُجر الكثيرة، والأبنية الرائقة، ... وعمل على الانتقال إليها، وسكناها ثم استبعد موضعها ...، **فجعلها متنزهًا في الخلوات**"[١]، ونعثر في رواية الخطيب البغدادي[٢] على تأكيد بأن هذا **المنتزه خضع لخطة توسعية كبرى عن طريق بناء ميدانٍ محاذٍ له ليُصبح منتزهًا عامًا** – فيما يبدو – فالخطيب يذكر أن **الجسر الثالث لبغداد**" **في أعلى البلد عند الدار المعزية محاذي الميدان**".

سابعاً:- **منشآت المرافق والخدمات**

تعكس منشآت المرافق، والخدمات في أي مدينة، ومحلة طابعها، وشخصيتها. وتعبِّر في الوقت ذاته عن وعائها المادي العمراني، والتي يمارس الإنسان من خلالها العديد من أوجه نشاطه الحضاري[٣]. وعادةً كان **يُراعى بالمحلات** وجود العديد من المرافق، والخدمات الأكثر استخدامًا، وانتشارًا كالمساجد، والبيمارستانات، والأسواق. ونظرًا لتميّز **محلة الحريم الطاهري** بوفرة العوامل الملائمة[٤] لبروز تلك المنشآت، فقد انعكس ذلك على ازدهارها، وتنوعها، بصورة تبدو مُميّزة **للحريم الطاهري** – في بعض الأحيان – **عن غيرها من سائر المحلات**. هذا واقتضت **رقعة المحلة الواسعة**، ونموُّها تعدد منشآتها وتنوُّعها.

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٨/٨٠، ج١٥/ص٨٤.

(٢) تاريخ بغداد، ج١/ص٤٣٧.

(٣) عدنان محمد فايز الحارثي: عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١١٩م)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٢٦٧.

(٤) سبق الإشارة إليها في المبحث الأول.

١ – المساجد

كان من المُتبع أن يُبنى مسجد، أو أكثر في كل مكان فتحه المسلمون، وفي كل قرية، أو مدينة أسَّسُوها ليكون مكانًا للعبادة، ومعهدًا للتعليم(١)، وفيما يتعلق ببغداد فمن المفيد أن نذكر هنا أن اليعقوبي(٢) عَدَّ مساجدها بالجانب الغربي كُله بما فيه **محلة الحريم الطاهري** فوجدها خمسة عشر ألف مسجدٍ سُوى ما زاده الناس(٣)، وبما أن مصادر الخطط التاريخية، وغيرها لم تنقل لنا أي معلومة حول **مساجد محلة الحريم الطاهري**، إلا النذر اليسير، فإن ما يمكن استنتاجه، وتفسيره بناء على ما ذكره الخطيب البغدادي(٤) من أن "صلاة الجمعة لم تكن تقام بمدينة السلام إلا في مسجدي المدينة، والرصافة إلى وقت خلافة المعتضد، فلما استخلف أمر بعمارة القصر المعروف بالحَسَني على دجلة في سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) وأنفق عليه مالًا عظيمًا، وهو القصر **المرسوم بدار الخلافة** ...، وكان الناس **يصلون الجمعة في الدار، وليس هناك رسم لمسجد** وإنما يؤذن للناس في الدخول وقت الصلاة ويخرجون عند انقضائها، ... وأن الخليفة المكتفي لما استخلف قام في سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)، أمر **ببناء مسجد جامع في داره** يصلي فيه الناس، فعمل ذلك وصار الناس يبكرون إلى **المسجد الجامع في الدار** يوم الجمعة فلا يمنعون من دخوله، ويقيمون فيه إلى آخر النهار".

---

(١) أحمد شلبي: التربية الإسلامية (نظامها– فلسفتها– تاريخها)، طبعة جامعة القاهرة، ط٦/١٩٧٨م، ص١٠٢، ١٠٤.

(٢) البلدان، ص٥٠.

(٣) **قلت:** ويُقصد بها المساجد غير الجامعة، والتي أحصها الخطيب البغدادي بـ "ثلاثمائة ألف مسجد بسائر أنحاء بغداد"؛ تاريخ بغداد، ج١/ص٤٣٩.

(٤) تاريخ بغداد، ج١/ص٤٢٩.

وعليه نقرر أن بناء المساجد **بمحلة الحريم الطاهري** لا يمكن أن يَبْرُز دون الرجوع إلى طبيعة التغييرات الاجتماعية، والتي زخرت بالنشاط، والحيوية؛ نتيجة الأمن والاستقرار اللذان يعدَّان ضروريّان لأي نموٍّ حضاري، وعمراني، ومما لاشك فيه أنه ومع انتقال الأُسر، والعوائل العباسية، وكذا أولاد الخلفاء للاستقرار بها نشأت العديد من المساجد في محيط قصورهم، ودُورهم، بناء على ما ذكره الخطيب سلفًا. يؤيد هذا إشارة ابن الجوزي في تاريخه[١] **إلى أن بعض الجنازات في محلة الحريم الطاهري كان يُصلى عليها بجامع القصر** دون أن يُعيِّن هذا القصر، ومما يجدر ذكره في هذا السياق أن المصادر لم تفصح لنا **إلا عن النذر اليسير من مساجد** تلك المحلة منها: **المسجد الجامع** فابن الفُوطي[٢] يذكر أن شيخه "عماد الدين أبو بكر أحمد الأشقر الحريمي الخطيب" المتوفى عام (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) كان **خطيبًا بجامع الحريم الطاهري، ومسجد "نور الهدى"** الذي شيَّده قاضي القُضاة "أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي، المتوفى عام (٥١٢هـ/١١١٨م) الملقب بنور الهدى"[٣]، **وبأعلى محلة الحريم الطاهري** بني "علي بن المدير الزاهد" المتوفى سنة (٥١٥هـ/١١٢١م) **مسجدًا بجوار بيته عُرف به**[٤].

٢- رباط الحريم

ومن المنشآت الدينية التي اشتهرت بها **محلة الحريم الطاهري** إبان القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر، والثالث عشر الميلاديين "رباط الخليفة

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧/ص٢٠١.
(٢) مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٢/ص١٩، ٢٠.
(٣) الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج١/ص٥٣٤.
(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧/ص٢٠١.

الناصـر"[١]، والمعـروف بربـاط الحـريم[٢]، ويـذكر ابـن الأثيـر[٣] أن سـنة (٥٨٩هـ/١٠٩٥م) " في ربيع الأول **فُرغ من عمارة الرباط الذي أمر بإنشائه الخليفة (الناصر) بالحريم الطاهري غربي بغداد على دجلة**، وهو من أحسن الرُبط، ونقل إليه كتبًا كثيرة من أحسن الكتب"، بينما ذكر سبط ابن الجوزي[٤] أن "فيها تَمَّ (الخليفة الناصر) **بناء دار الحريم الطاهري والرباط**، ونقل إليها المخطوطات المنسوبة، ورتَّب في الرباط عشرة من الصوفية الأخيار أرباب المجاهدات، ورتَّب فيه طعامًا كل يوم خارجًا عن راتب الصوفية، وكان الخليفة كل يوم يتردَّد إلى الرِّباط المذكور، فيوم لا يحضر يحمل راتبه إلى الصوفية ...".

٣- البيمارستان العضُدي[٥]

يُعدُّ البيمارستان العضُدي من البيمارستانات الأشهر في العراق أقامه

(١) الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله، ولد سنة (٥٥٣هـ/١١٥٩م) وأمه أم ولد تركية اسمها: زمرد، بويع له بالخلافة عند موت أبيه في مستهل ذي القعدة سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، مات في رمضان سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣١٧- ٣٢٠.

(٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٤، ٨٧، ١٥٤، ٢٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥/ص١٠٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ج١٠/ص١٢٥.

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢٢/ص١٤.

(٥) تُشير الروايات أن هذا **البيمارستان كان يقع في حيز محلة الحريم الطاهري**، والتي شهدت تطورًا عمرانيًا هائلًا سمح لها بالتمدد عبر الأراضي المحيطة بها، كما سبق وأن بيّنت؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص٣٧، ج١٨/ص٢٠٥؛ ابن رافع السلامي: تقي الدين محمد بن هجرس، ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م، الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس ، د. بشار عواد معروف، مؤسسة دار الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٢هـ، ج١/ص٤٠٦.

السلطان البويهي عضد الدولة المتوفى سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)، وأنفق عليه أموالًا عظيمة؛ حتى صار بيمارستانًا عظيمًا ليس في الدنيا مثل ترتيبه[١]، ويروي ابن أبي أصيبعة[٢] المتوفى سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) "أنه لما عمَّر عضد الدولة البيمارستان الجديد الذي **على طرف الجسر من الجانب الغربي** من بغداد كانت الأطباء الذين جمعهم فيه من كل موضعٍ، وأمر الراتب منه أربعةٌ وعشرون طبيبًا".

وبَقِي **البيمارستان** لفترة من الزمن **ملجأ للمرضى، والمساكين من محلة الحريم الطاهري** وغيرها، فأحدث أساليب العناية، والرعاية، والعلاج المعروف يوم ذاك كانت متوفرة، إلا أن الإهمال لَحِقه؛ ودبَّ فيه الخراب؛ بسبب الفتن، والاضطرابات، وظلَّ سنوات في حالة يُرثى لها[٣]، حتى أنقذه من هذا الإهمال الوزير "عميد الدولة"[٤] سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، وقد أوضح سبط ابن الجوزي[٥] جملة مما فعله عميد الدولة لهذا البيمارستان فقال: "فوجده قد خلا من دواء، وطبيب وشراب، فانتزع أوقافه من أيدي الطامعين فيها، والمتغلبين عليها، وضمنها بما وفر به ارتفاعها توفيرًا لم يعهد مثله، ... وأقام الفُرش واللُّحف

(١) الذهبي: تاريخ الإسلامي، ج٨/ص٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص٤١٥.

(٣) ميخائيل عواد: صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ط١/١٤٠١هـ/١٩٨١، ص١١٤.

(٤) محمد بن منصور بن محمد، الوزير عميد الملك، أبو نصر الكُندُري، وزير السلطان طغرلبك، كان كريمًا جوادًا، متعصبًا لمذهبه الحنفي، معتزليًّا، مُتكلمًا له نظمٌ ونثرٌ، لما تسلطن ألب أرسلان أقره على وزارته قليلًا ثم عزله، قُتل بمروالروذ في ذي الحجة سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م)؛ الذهبي تاريخ الإسلام، ج١٠/ص٨٥، ٨٦.

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٩/ص١٧.

للمرضـى، ... والأشـربة، والـثلج، والمسـتخدمين والأطبـاء، والفراشـين، فكـان فيـه ثمانيةٌ وعشرون طبيبًا، ونساء طباخات، وبوَّابون، وحرَّاس، والحمام، والبستان إلى جانبـه فيـه أنـواع الثمـار والبقـول، والسـفن علـى بابـه تنقـل الضـعفاء، والفقـراء، والأطباء يتناوبونهم بكرةً، وعشيًّا، وينامون عندهم بالنوبة".

وفـي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) شـهدت **محلـة الحـريم الطـاهري** فيضـان نهـر دجلـة بعد زيـادة منسوبه؛ مما أحدث معه تدميرًا للجزء الأكبر من البيمارستان؛ وتشير روايـة ابن الجوزي[١] لهذا الدمار حيث يقول: "فصـعد المـاء إلـى **الحـريم الطـاهري بالجانـب الغربـي** فوقعت دُوره، **ودخـل المـاء إلـى المارسـتان**؛ وعـلا فيـه ورمـى عدة شبابيك من شبابيكه الحديد، فكانت السفن تدخل من الشبابيك **إلـى أرض المارسـتان**، ولـم يبـق فيـه مـن يقوم بمصـلحته إلا المشـرف علـى الحـوائج، وحكـي أنـه جمـع إقطاعًا من الساج فشـهدها كالطوق وتـرك عليها مـا يحتـاج من الطعام والشراب ...، ورقـي المرضـى إلـى السطح ..."، **ونظرًا للخـدمات الطبيـة، والعلاجيـة التـي يقـدمها البيمارسـتان لأهـالي محلـة الحـريم الطـاهري**، وغيـرهم، سرعان مـا طالتـه أيـادي التعمير لإعادتـه كسـابق عهده. وقد كـان؛ فالرَّحالـة ابـن جبيـر[٢] المتـوفى سـنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) زار **محلـة الحـريم الطـاهري** فـي عـام (٥٨٠هـ/١١٨٤م) ووصفه قائلًا: "**المارسـتان الشـهير ببغداد وهـو علـى دجلـة،** وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين، وخميس، ويطالعون أحوال المرضـى بـه، ويرتبـون لهم أخذ مـا يحتاجون اليـه، وبين أيديهم قَوَمـة يتنـاولون طبخ الأدويـة، والأغذيـة، وهـو قصـر كبيـر فيـه المقاصـير[٣]، والبُيـوت وجميـع مرافـق المسـاكن الملوكيـة،

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨/ص٢٠٥.

(٢) رحلة ابن جبير، ص٢٠١.

(٣) جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة بالحيطان، أو هي أصغر من الدار؛ مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٣/ص٤٢٦.

والماء يدخل إليه من دجلة". هذا وتشير سير الحوادث **أن البيمارستان ظل يؤدي خدماتــه** فــي مــداوة المرضــى، ورعــايتهم حتــى الغــزو التتــري لبغــداد[١] ســنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[٢]، فأصابه التدمير والتخريب جرَّاء الغزو، يؤكد هذا رواية ابن بطوطة[٣] لمشاهداته في بغداد عام (٧٣٠هـ/١٣٣٠م) فيقول: "الجانب الغربي منها (بغداد) هو الذي عُمِّر أولًا وهو الآن خراب أكثره، **والمارستان ...، قصر كبير خرب بقيت منه الآثار**".

٤ – الأسواق

وكما يقال: إن نشأة الأسواق في المدن الإسلامية، وتوابعها من محاور نهضتها العُمرانيّة كما أنها من متطلبات الجماعة، والجِيرة، والسوق يُعدُّ في المرتبة الثانية للمهمة التي يقوم بها مكان هذا التجمع[٤]، وبلا شكٍ تتفاضل المحلات، والمدن في كثرة الرزق لأهلها، ونفاق الأسواق بها، الذي هو تفاضل عمرانها في الكثرة، والقلة[٥]. ونتيجة التغيرات الاجتماعية، والعمرانية التي تعرضت لها **محلــة الحــريم الطــاهري** ازدادت بها الأسواق بشكل عام لافت

---

(١) **يقــول غــي لســترانج: إن البيمارســتان أُهمــل قبــل الحصــار المغــولي** أي قبل سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) لمّا أسس الخليفة المستنصر بيمارستانه الخاص بالمدرسة المستنصرية في بغداد الشرقية؛ بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص٨٦. **قلت: وهذا غير صحيح** حيث تدل الأخبار أن عز الدين أبو حامد عبد الحميد المعروف بـ "ابن أبي الحديد" **رُتِّب ناظرًا بالبيمارستان العضدي** بعد سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)؛ ابن الفوطي: مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج١/ص٢١٣.

(٢) ابن العبري: أبو الفرج غريغوريوس بن توما الملَطِّي، ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م، مختصر تاريخ الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣/١٩٩٢م، ص٢٧١.

(٣) رحلة ابن بطوطة، ج٢/ص٦١.

(٤) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٥٠.

للانتباه، حيث أضحت هناك احتياجات جديدة تواكبت مع ظهور التقاليد، والعادات المستجدة، وعليه نلحظ تعدد الأسواق، والتجارات بالمحلة تبعًا لكثرتها بالجانب الغربي(١)، ولعل أبرز **أسواق محلة الحريم الطاهري** سوق "**دار البطيخ العُليا**(٢)، وهذا السوق كان يقع على نهر دجلة مباشرة، يتبيّن هذا من نص اليعقوبي(٣) والذي ذكر أن قطيعة أم جعفر **يفصلها عن الحريم الطاهري** "السوق على دجلة في الفرضة"، ومع أن اليعقوبي لم يوضح تسمية السوق، إلا أن النص يُفهم منه أن السوق المراد **هو** "**دار البطيخ**"(٤)، والجدير ذكره أن هذه الدار كانت **سوقًا تُباع فيها جميع الفواكه، والرياحين ولكنها تنسب إلى البطيخ وحده،** وقد ضرب بها ابن لَنْكَك(٥) مثلًا فأحسن فيه، فيقول:

كدار بطيخ تحوى كل فاكهة وما اسمها الدهر **إلا دار بطيخ**(٦).

ومع نشأة **البيمارستان العضّدي بالمحلة،** وما تبعه **من أنماط اجتماعية**

---

(١) اليعقوبي: البلدان، ص٤٩.

(٢) **قلت:** وُصفت بالعُليا تمييزًا لها عن "دار البطيخ" الأخرى الواقعة بأسفل الجانب الغربي بمحلة الكرخ وكانت سوقًا للفاكهة؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٣٩٢، ج١٦/ص٥٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢/ص٤١٩.

(٣) البلدان، ص٤٣.

(٤) صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، ج٢/ص٢١٣.

(٥) محمد بن محمد بن جعفر أبو الحسن المعروف بابن لَنْكَك البصري النحوي الشاعر الأديب، كان صدر أدباء البصرة في زمانه، أكثر شعره في شكوى الزمان، وأهله، وهجاء شعراء عصره؛ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بـ "معجم الأدباء"، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٦/ص٢٦١٩.

(٦) أبو منصور الثعالبي: عبد الملك بن محمد، ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص٥١٩.

مستجدة؛ أضحى هناك احتياجات جديدة دفعت **نحو المزيد من الطلب على الأسواق**، فظهر تبعًا لذلك **ما عُرف بـ "سوق المارستان"** ويبدو أن **هذا السوق كان مخصصًا لقضاء حوائج البيمارستان** من الأغذية، والفواكه، ونظرًا لأهمية هذا الموضع؛ توافد إليه الناس فكثرت الدُور، والدُروب حول بالبيمارستان، فصارت هذه **البقعة ربض البيمارستان المأهول**(١)، مما دفع البعض بوصفه **بأنه: مدينة، أو محلة صغيرة**(٢). وإلى جانب هذا تشير المصادر **أن سوقًا ثالثًا ظهرت بمحلة الحريم الطاهري** مع بدايات القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وهو ما نص عليه القطيعي(٣) بقوله: "شارع دار الرقيق: محلة متصلة ببغداد، **بالحريم الطاهري، قد بقيت منها بقية، بها سوق الحريم الآن**"، ويبدو أن هذا كان نتيجة تغيرات مجرى نهر دجلة لأرض المحلة حيث قرض النهر أكثرها(٤)، مما أوجد معها –فيما يبدو– حاجة ماسة لتأسيس سوق جديد، وبالجملة فإن تعدد الأسواق كان ضرورة اقتضتها رقعة **الحريم الطاهري** الواسعة، وهذا ما يُقرره وصف ياقوت الحموي(٥) **للحريم الطاهري** إذ يقول: "**عامر، فيه دُور، وقصر ...، وبعضه عامر، وفيه أسواق، وله سور بحيزه**". ويعطينا اليعقوبي(٦) **صورة تنظيمية لتلك الأسواق** بضرب صورة تنظيمية لسوق الكرخ فيقول: " **وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق**

(١) غي لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص٨٧.
(٢) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٣/ص٨٣؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٢٠١.
(٣) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢/ص٦٢٧.
(٤) القطيعي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١/ص٣٩٧.
(٥) معجم البلدان، ج٢/ص٢٥١.
(٦) البلدان، ص٣٧.

مفردة، وكل أهل منفردون بتجاراتهم، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم".

ثامناً:- الأوضاع الإدارية

مع أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، نشأة **محلة الحريم الطاهري**، واستجابة لعدة عوامل **سياسية، وأَمْنية** اقترن استقرارها، ونموها الظافر، إلى جانب **الإطار الجغرافي** المميز لها. ولا شك في أن **التنظيم الإداري من أهم الوسائل** التي يضمن فيها المجتمع تنظيمًا متناسقًا في عمله وتصرفاته؛ ليستطيع تحقيق النمو والازدهار اللذين هما الهدف الرئيس للمجتمعات البشرية، هذا ويتوقف استقرار أي مجتمع فضلًا عن تقدمه – إلى حد كبير – على مدى سلامة مؤسساته الإدارية، ومن المعلوم أن **تأسيس بغداد** في أواخر النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كان **الهدف منه أن تكونًا مقرًا، ومركزًا إداريًّا لإدارة الدولة الإسلامية**، فكان ولا بد أن تتوفر فيها كافة المؤسسات التي تسد حاجة الإدارة الحاكمة في إدارة دولتها(١).

وبوجه عام لم يكن **الوضع الإداري بمحلة الحريم الطاهري** منفكًا بأي حال عن النظام الإداري في المدينة الأم بغداد؛ فولاية بغداد والتي ظهرت إبان خلافة المأمون كانت – فيما يبدو – تلبية لظهور محال جديدة حولها، **وإذا كان الفَهْم صحيحًا** لما ذكره الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) بأن: "بغداد من الصَّراة إلى باب التِّبن"(٢)، ولتعقيب الخطيب البغدادي(٣) عليه بقوله: " قُلت عَنَى أحمد بهذا القول مدينة المنصور وما لاصقها واتصل ببنائها خاصة؛

(١) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية (دراسة تخطيطية)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٨م، ص١٥٥.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٣٨٠.

(٣) تاريخ بغداد، ج١/ص٣٨٠.

لأن أعلى البلد قطيعة أم جعفر دونها الخندق يقطع بينها، وبين البناء المتصل بالمدينة، وكذلك أسفل البلد من محال الكرخ، وما يتصل به يقطع بينه، وبين المدينة الصراة، وهذا حد المدينة، وما اتصل بها طولًا". **فإن ثمة تمايزًا واضحًا بين بغداد، وما نشأ حولها من محال، والتي تشكلت بدورها صورة أدق لوحدات إدارية ذات طابع خاص**، الأمر الذي يؤكد على أن **مشرفًا إداريًّا لها** كان يُعيَّن من قبل **والي بغداد**، فالنصوص الواردة في هذا الشأن يبدو منها **أن المشرف على محلة الحريم الطاهري وغيرها، كان يُعرف بـ "معاون بغداد"**[(١)]، **والذي يعاونه في أداء مهامه مجموعة تُعرف بـ "أصحاب المعاون"، و "العُمَّال"**[(٢)].

(أ):- الشرطة

ولما **كانت الشرطة هي المؤسسة الحكومية الرئيسة** التي يتصل عملها بالعامة؛ لكونها مسؤولة عن الأمن، وتتبع مثيري الشغب، وأصحاب الجنايات، والإشراف على السجون، وغيرها، فإن هذه المهام مع تنوعها كانت **تستدعي أن يكون القائمين عليها من ذوي الهيبة، وقوة الشخصية**، فضلًا عن **وجود مستقر لها تباشر منه تلك المهام** على كثرتها[(٣)]، ومع اتساع أطراف بغداد، وتعدد محالها، فإن هذا **شكل دافعًا قويًّا لتكوين مراكز لها في سائر المحلات على الأرجح**. ولن نُفَاجأ لو عرفنا أنه **لا يوجد بالمصادر قائمة بمراكز الشُّرط،**

(١) حمزة بن الحسن الأصفهاني، ت٣٦٠هـ/٩٧٠م، تاريخ سَني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١/١٩٦١م، ص١٧٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩/ص٢٢٨، ٣٣٩؛ مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد، ت٤٢١هـ/١٠٣٠م، تجارب الأمم، وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط٢/٢٠٠٠م، ج٤/ص٣٦٠، ج٥/ص١١٢، ص٤٤٣؛ الصابي: هلال بن المحسن بن إبراهيم، ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، د ت، ص١٨.

(٣) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص١٧٦.

وفروعها بمحلات بغداد، وعليه فليس لديَّ سوى **استنطاق المدونات التاريخية، لالتقاط أيّة معلومة تثري هذا الأمر**، فطبيعة الأحداث، والأحوال تشهد بوجود **مراكز للشرطة بسائر المحلات، ومنها بطبيعة الحال محلة الحريم الطاهري**، كما أن الأعداد الكبيرة لأفراد **هذا الجهاز** يُستجلى من خلالها تواجد مجموعة منهم داخل **الحريم الطاهري**؛ فالطبري[١] يذكر أن **صاحب شرطة بغداد** مؤنس الخازن[٢] كان تحت يده **تسعة آلاف فارس، وراجل**، بينما يُلحظ أن **صاحب المعونة**[٣] ببغداد أيام الخليفة المكتفي بالله **كان معه أربعة عشر ألف فارس، وراجل**[٤]؛ ويبدو أن جزءًا من هذا العدد كان موزعًا على **النقاط الأمنية داخل الحريم الطاهري**، وغيره، للحفاظ على الحالة الأمنية وقت الاضطرابات، والصراعات. وليس أدل على هذا من أن اليعقوبي[٥] حين وصف الأبنية، والمنشآت في الجانب الغربي أشار فيها إلى أن **مجلس الشرطة**[٦] **في الجانب**

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١/ص٢٠١.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) **المعونة في اللغة:** من العون هو الظهير على الأمر، ومن الاستعانة تقول: أَعَنتُه إِعانَة، واستَعَنتُه، واستَعنتُ بِهِ فأَعانَني، **وصاحب المعونة هو: أحد أعوان الشرطة** كان يترأس مجموعة من أفرادها، يُوكَّل إليه بعض المهام المتعلقة بعملهم الشُّرطي؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٣/ص٢٩٨. مادة: "عون"؛ إسماعيل النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية، وزارة الثقافة، الأردن، ط١/٢٠١٥م، ص٨٤.

(٤) الصابي: هلال بن المحسن بن إبراهيم، ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م، رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢/١٩٨٦م، ص٩.

(٥) البلدان، ص٤٢.

(٦) **قلت:** ولا شك في أن هذا المجلس كان **مخصصًا لتنفيذ العقوبات** على المذنبين، **فضلًا عن كونه مقرًا للتحقيق في الدعاوى المقدمة ضد المتهمين، أو المجرمين. ومما يجدر ذكره هنا** أن المجلس كان يقع عند الجسر حتى إنه عُرف بمجلس الجسر؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠/ص٩.

الغربي كان يقع في حيز محلة الحريم الطاهري، وإضافة لهذا نجد محبسًا لكبار رجالات الدولة داخل **محلة الحريم الطاهري**(١) تشرف عليه شرطة المحلة.

هذا وقد احتفظ الصابي(٢) بأنموذج لتقدير رواتب رجال الشرطة ببغداد ليؤكد لنا مدى انتشار رجالات شرطة بغداد بسائر محلاتها، فيقول: "**المرتزقة برسم الشرطة بمدينة السلام، والخلفاء عليهم، وأصحاب الأرباع، والمصالح، والأعوان، والسَّجانين**، ...، ومن في جملتهم من **الفرسان الذين مُيِّزوا وأُلحقوا** بطبقة الدُّون(٣) من المشايخ، والمترفين، ومن هذه سبيله من **الرَّجالة المُوكَّلين** بأبواب المدينة، وأيام شهرهم مائة وعشرون يومًا من جملة **ستة آلاف دينار في المشاهرة، خمسين دينارًا**"، فرجال الشرطة جملة – **حسب هذا التقدير**– كانوا يحصلون على **خمسين دينارًا** في اليوم الواحد(٤).

(ب):– الدواوين

وتُعدُّ **التنظيمات الإدارية داخل بغداد وما يحيط بها من محالٍ**، مسوغًا **بارزًا لنموّها، وتطورها؛ ولعل أبرز هذه التنظيمات** "**الدواوين**" فحسب إشارة الدكتور صالح أحمد العلي(٥) يُلحظ أن بعض هذه الدواوين كان **مقتصرًا على الخليفة، وبلاطه**، وبعضها **يتصل عمله بالناس عامة**، وبعضها **يقتصره عمله في بغداد، ومحالها**. ولا شك في أنه ومع بناء القصور الملكية بالحريم الطاهري

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٨/ص١٥٦.

(٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٠.

(٣) **قلت:** ويفهم من كلام "الصابي" **في تحفة الأمراء؛ أن الدُّون كانوا طبقة من طبقات رجال الشرطة**، ويقصد بهم على حد قول الصابي: "من كان **متخلفًا لا يحسن أن يركب فرسه، أو يرمي هدفه؛ فيُعلَّم على اسمه "د" وهي علامة الدُّون**"؛ ص١٥.

(٤) إسماعيل النقرش: نشأة وتطور جهاز الشرطة في الدولة الإسلامية، ص٢١٠.

(٥) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص١٢٩.

والتـي اتُخِذت مستقرًا لأولاد الخلفاء[١]، كـان من **الاعتبـارات الأولـى** التـي وجب مراعاتها فيما يتعلق بوجود تلك القصور – فيما يبدو – ضرورة **إدارة نفقاتها على المرتبين بالخدمـة** لأولاد الخلفاء، من الغلمان، والفرَّاشين، والطباخين، والبوَّابين، وكذا الخبـازين وغيـرهم، عبـر مـا يُعـرف بـ "**ديـوان النفقـات**" والتـي كانـت أكبـر مهماته هـي القيام **بنفقات دار الخلافة، وحاجاتها**، وما يشمله من الجاري على سائر أولاد خلفاء بنـي العباس[٢]، ولعل هذه الإدارة كانت تتمُّ عن طريق إنشاء **مجالس فرعية بمحلـة الحريم الطاهري** تابعة لهذا الديوان، والمختصة بالإشراف على الحسابات، وتنظيمها، وتوخي ضبطها بما يلزم، لهذا كله وجدنا الصابي[٣] يحفظ لنا **وثيقة مهمـة للنفقات اليوميـة** أيام الخليفة المعتضد، تُثبت بما لا يدع مجالًا للشك تضمنها **لنفقات قصور أولاد الخلفاء بالحريم الطاهري**، والمشتملة علـى نفقـات المطـابخ الخاصـة، والعامـة، والمخـابز، وأنـزال[٤] الحـرم، والحشـم، وأرزاق الحرم، وغيرها الكثير.

ومما يمكن إدراجه هنا ضمن **التنظيمـات الإداريـة** بالمحلة **مراكز الجبايـة**، والتـي شكَّلت رافدًا مهمًا **لـديوان الخـراج**، فحسب اعتقادي نرصد **ديوانًـا فرعيًّـا**

(١) عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص١٦، ١٢٦؛ يعقوب ليْسْنَر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ص٢٠٥.

(٢) الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١٧-٢١؛ حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإداريـة فـي الدولـة العباسـية خـلال الفتـرة (٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م)، دار الفكـر العربي، د ت، ص٢٣٠.

(٣) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١٥-٢١.

(٤) الطعام المبارك، ابن منظور لسان العرب، ج١١/ص٦٥٩، مادة: "نزل"، ويقصد به هنا: ما هُيِّئ للضيف من الطعام؛ الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٠، هامش رقم (٢).

لتحصيل **أجرة الأسواق بالحريم الطاهري** ضمن السياسة المتبعة من الإدارة المركزية ببغداد، والتي **فرضت على الحوانيت** الخراج[١]، حتى إن **أجرة الأسواق، وما يتصل بها ببغداد** في كلا الجانبين الغربي، والشرقي في كل سنة كانت **تقدر بـ "اثني عشر ألف ألف درهم"** حسب إحدى التقديرات[٢]، ومن ثمَّ وتبعًا لسياسة الإدارة الحاكمة كان **بالحريم الطاهري** – على حد تقديري – **ديوانٌ تُجبى فيه ضرائب السلع، والبضائع،** وكان **مركزه بالمحلة** على ضفة نهر دجلة **حيث يقام المآصر**[٣]، وهذا المآصر كان له **عامل مكلف به، تصدر له أرزاقه من ديوان النفقات** حسب إشارة الصابي[٤] لميزانية البلاط الحاكم زمن الخليفة المعتضد.

(ج):- القضاء

وكنتيجة طبعية لازدياد **الأنشطة الاجتماعية، والاقتصادية بمحلة الحريم الطاهري** نلحظ أنها صارت **أحد أبرز المناطق القضائية** في بغداد حتى إننا نجد متسعًا لذكر بعض **قضاة الحريم الطاهري في كتب التراجم العامة**؛ فالذهبي يذكر في تاريخه[٥] أن أبا العباس بن الرُّطبيّ، الكرخيُّ المتوفى سنة (٥٢٧هـ/١١٣٢م) تولى **القضاء بالحريم الطاهري والحسبة،** بينما يذكر ابن الدُّبيثي في ذيله[٦] أن

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤/ص٤٤٨.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص٥٠.

(٣) المآصر: مأخوذ من آصرة العهد إنما هو عقد ليحبس به؛ ويقال للشيء الذي تعقد به الأشياء: الإصار، والمأصر: محبس يمد على طريق، أو نهر يؤصر به السفن، والسابلة أي يحبس لتؤخذ منهم العشور؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ص٢٢، ٢٣؛ مادة: "أَصَرَ".

(٤) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٠.

(٥) تاريخ الإسلام، ج١١/ص٤٥٦.

(٦) ذيل تاريخ بغداد، ج٤/ص١٠٧، ١٠٨.

عبد الملك بن المبارك المتوفى سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) **وَلِـي قضـاء الحـريم الطاهري وما يلي ذلك** على حد قوله.

وممـا تقـدم يسـهل الوصـول إلـى بعـض الاسـتنتاجات المتعلقـة بـبعض **الممارسـات القضـائية** فـي تلك المحلـة، فأغلـب الظـن أن **ديوانًـا لقاضـي محلـة الحـريم الطـاهري** كـان مـن أبـرز مظـاهر التنظـيم الإداري بهـا، والـذي اقتضـى بطبيعة الحال أن يكون لـه **أمين يعرف بـ** "**أمين القاضي**"، والمسؤول عن أموال اليتامى رعايةً، وصونًا لها من العبث، والتعدي عليها[١]. ومن حُسن الطالع أنه يتوفَّر لنا بعض أسماء من تولوا **أمانة القضاة بالحريم الطاهري**، مثل: أحمد بن موهوب، أبو شجاع بن أبي القاسم بن السَّدنك المتوفى سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) **من أهل الحريم الطاهري، وأمين القُضاة بـه**[٢]، والحسن بن المبارك المعروف بابن البواب **الحريمي الطاهري، عمِل أمينًا للقُضاة بالحريم ومـا يجاورها**[٣]. وإذا حاولنا النظر إلى بعض مهام **ديوان القضاة بالحريم الطاهري**، وكالعهد في بقية دواوين القضاة، يلاحظ **أن** توثيق القضايا، وضبطها في السجلات **كانـت تُسند لكاتـب الـديوان** والذي يُشترط فيه: "أن يكون فصيحًا، عالمًا **بلغـات الخصـوم، ضابطًا لتغيير العجمية إلى العربية**، فقيهًا فطنًا، متيقنًا، لا يؤتى من جهالةٍ، ... **قوي الخط قائم الحروف، عالمًا بمواضع التدليس في الخط، ضابطًا لنظمها،** لا يلتبس على خطة تسعة بسبعة، ولا ثلاث بثلاثين، ولا خمس عشر بخمس وعشرين"[٤]. و**في نسخة العهد التي أصدرها** الخليفة العباسي الطائع للقاضي

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧/ص٣٣١.

(٢) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٢/ص٣٩٩، ٤٠٠.

(٣) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٣/ص١٣٥.

(٤) ابن القاص: أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري، ت٣٣٥هـ/٩٤٦م، أدب القاضي، دراسة وتحقيق: د. حسين خلف الجبوري، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، الطائف، ط١/١٤٠٩/١٩٨٩م، ج١/ص١١٧.

عبيد الله بن أحمد بن معروف[١] حين قلده قضاء الجانب الغربي – والحريم الطاهري جزء منه – نلحظ إشارات لطبيعة عمل **ديوان القاضي**، ومما جاء فيها:" أن يستصحب **كاتبًا دَرِبًا بالمحاضر والسجلات**، ماهرًا في القضايا، والحكومات ...، **وأمره بالضبط لِما يجري في عمله** من الوقوف الثابتة **في ديوان حكمه**، والتعويل على **الأمناء الثقات** ...، وأمره **بحفظ ما في ديوانه من الوثائق، والسجلات**، والحُجَج والبيِّنات، والوصايا، والإقرارات ..."[٢].

(د):- الحسبة

وبالإضافة إلى ذلك **أدى متولي الحسبة** دوره **بمحلة الحريم الطاهري** حيث عُهد إليه **بإدارة مؤسسة الحسبة**، والتي تضبط **الشارع، والأسواق** بقواعدها، وأنشطتها، وفق هذا نلحظ أن **محتسب الحريم الطاهري** كانت **مهامه الرئيسة المنوطة به:** تلافي الغش، والتدليس، والتأكد من جودة السلع، والبضائع، وسلامة المكاييل، والموازين، وغيرها[٣]، ويستوقف نظري هنا ما أودعه الخليفة الطائع من عهد **لولاة الحسبة** في سنة(٣٦٦هـ/٩٧٦م) والذي جاء فيه: " ... وإلى **ولاة الحسبة** بتصفّح أحوال العوام في حرفهم، ومتاجرهم، ومجتمع أسواقهم، ومعاملاتهم، وأن يعيِّروا موازينهم، والمكاييل ويقرِّروها على التعديل

(١) عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد القاضي، ولد في سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م)، قيل عنه: كان له في كل سنة مجلسان يجلس فيهما للحديث، أول يوم من المحرم، وأول يوم من رجب، ولم يكن له سماع كثير، وكان عفيفًا نزهًا في القضاء لم يُرى مثله في نزاهته، وعفته. توفي يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة (٣٨١هـ/٩٩١م)؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢/ص٩٣.

(٢) شكيب أرسلان: المختار من رسائل أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، الدار التقدمية، لبنان، ط١/٢٠١٠م، ص١٠٢، ١٠٤.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٣٦٨-٣٧٠.

والتكميل ..."[١]، مما يؤكد على **دور المحتسب** المحوري في سلامة الأمن المجتمعي داخل المحلة، يستدل على ذلك بما نقله ابن الجوزي[٢] من حوادث سنة (٤٧٢هـ/١٠٧٩م) حيث أوضح أنه " في يوم الجمعة خامس ربيع الأول **رتب في الحسبة بالحريم** أبو جعفر بن الخرقي الشاهد، **وكان التطفيف فاشيًا، والأمور فاسدة**، حتى إنه وجد في ميزان بعض المتعيشين حبات على شكل الأرز من رخام ...، فتولى ذلك على أن يبسط يده **في الخاص، والعام، وأن لا يستعمل مراقبة، ولا يجيب شفاعة**، ...، فزمَّ الأمور، وأقام الهيبة، وأدب، وعزّر، ... فانحرست الأمور ...". ومع تعدد **الأسواق بالحريم الطاهري**، وتنوع مهام المحتسب صار له **نوابٌ، وأتباعٌ يعاونونه** في أداء وظيفته كما يفهم من النصوص الواردة في هذا الصدد[٣]، فثمة عامل **لسوق الغنم، وآخر لدار البطيخ، والقطن**، وهكذا[٤].

تاسعاً:- الأوضاع السكانية

- التوزيع الاجتماعي

تُعَبِّر الحياة العامة لأي محلة عن حياتها، وأوضاعها الاجتماعية تعبيرًا صادقًا؛ باعتبار اتساع نطاقها، واستمراريتها، فضلًا عن تجسيدها للواقع الفعلي لحياة المحلة، أو المدينة والذي يؤثر في تكوينها، ومراحل تطوُّرها[٥]، ولما كانت **محلة الحريم الطاهري** بطبيعة الحال تجمعًا بشريًّا تشكَّل بتكاتف أفرادها؛ فإن دراسة هذا التجمع من الأهمية بمكان لمعرفة التوزيع السكان، وأوجه التغيير

(١) شكيب أرسلان: المختار من رسائل أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، ص٩٦، ٩٧.
(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص٢٠٥.
(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣/ص٥٥٠.
(٤) الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص١٧٦.
(٥) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص٢٩٣.

السكاني الطارئ على مرِّ الأيام، وعلى الرغم من **أن المصادر لم تظهر أي اهتمامٍ** بالمعلومات الإحصائية المفصلة عن دراسة هذا الجانب، فإن ذلك **لم يُمثل عقبة لتقديم تصورٍ واضحٍ**؛ واعتمادًا على ما تُقدمه المصادر من روايات **يمكن توظيفها** للكشف عن جوانب هذا الموضوع.

هذا وتُعدُّ راوية اليعقوبي[١] والتي نصَّ فيها على **التوزيع الاجتماعي في محلة الحريم الطاهري**، وغيرها من سائر محلات المدينة الأم (بغداد) والناتج عن إعمار الأرباض، والقطائع **مُنطلقًا لي** إذ يقول:" وبَيْن هذه الأرباض التي ذكرنا، والقطائع التي وصفنا، **منازل الناس** من العرب، والجند، والدُّهاقين[٢]، والتجار، **وغير ذلك من أخلاط الناس** ينتسب إليهم الدُّروب، والسِكَك"، وفي رواية أخرى ذكر: "وفي هذه الأرباض، والقطائع ما لم نذكره؛ **لأن كافة الناس** بنوا القطائع، وغير القطائع، **وتوراثوا**". من هنا نلحظ أن **التوزيع السكاني لفئات المجتمع بمحلة الحريم الطاهري** كان متعددًا، وأن كل فئة تمتلك بعض الخصائص التي تميزها عن الفئات الأخرى، ولا شك في أن وجود هذه الفئات أمر ضروريّ في المجتمعات الإنسانية، حيث التفاعل الحضري بين أفرادها، والذي يقتضي أن يسخر بعضهم بعضًا. وبما أن مجتمع المحلة، أو المدينة هو مجتمع صغير ضمن المجتمع الأكبر، فلا ريب بأن تكوينها السكاني قد تأثر بالنواحي المهنية، والطبقية[٣].

ولعل أبرز ملامح التوزيع الاجتماعي "**طبقة الخاصة**" والتي تمثل: أهل

---

(١) البلدان، ص٣٧، ٤٣.

(٢) مفرد "دُهقان" واللفظة فارسية وتعني: رئيس الفلاحين، أو رئيس القرية؛ محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٠.

(٣) عدنان محمد فايز الحارثي: عمران القاهرة وخططها، ص٤١١.

الخليفة، وذوي قرابته، وأفراد السلطة، وسائر الأمراء، وكما أشرنا – سلفًا – فإن النمو السكاني الأكبر للمحلة أذكاه **الخليفة المأمون** تبعًا لخطة رسمها للتطوير الجانب الغربي – فيما يبدو – والتي بموجبها خصَّص إقطاعًا **لقائده الأكبر طاهر بن الحسين** ليكون نواة لهذه المحلة فالخطيب البغدادي[١] يشير إلى أن "**المأمون أقطع طاهر بن الحسين داره**"، وعليه **تهيأت دار طاهر** لتكون نواة حقيقة نمت حولها **محلة الحريم الطاهري**؛ حيث أخذ أرضها **طاهر بن الحسين، وجعلها خاصة به، وبذريته، وحفها بسور ذي أبواب**[٢]، ويذكر ياقوت في معجمه[٣] أن عبد الله بن طاهر بن الحسين، **عمّر قصره بهذا الحريم وسط عمارات المحلة المتصلة**، مبينًا أنه كان **عظيمًا في دولة بني العباس**، وأنه لا يعلم أحدًا بلغ مبلغه فيها حديثًا، ولا قديمًا.

وثمّة أمر مهم هنا يجب توضيحه وهو **أن نفوذ الخاصّة، والمتمثل في أسرة آل طاهر** كان أساسيًّا **في التوزيع السكاني بالحريم الطاهري**، والقائم على تجمع **العشيرة الطاهرية** باعتبارهم أفراد ينتمون إلى جدٍ واحدٍ في الأساس، ففي تلك الأثناء جرى الأخذ بمسألة **الرابطة العشائرية** لتوزيع مواضع السُكنى في نواحي المحلة؛ فعلى سبيل المثال: نجد أن دار صاحب الشرطة "إسحاق بن إبراهيم المُصعبي" – وهو ابن أخي طاهر بن الحسين – حسب الراوية التي ساقها الخطيب البغدادي[٤] **جزيرة أقطعها إياه المأمون بحذاء محلة الحريم**

(١) تاريخ بغداد، ج١/ص٣٩٧.

(٢) تعليقات وإضافات وشروح الدكتور: "قاسم السامرائي" في تحقيقه لكتاب الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني، ص٢٩٣.

(٣) معجم البلدان، ج٢/ص٢٥١.

(٤) تاريخ بغداد، ج١/ص٤٠١.

الطاهري بطرفها الشمالي الشرقي، وتعزيزًا لتلك الرواية ذكر ابن الفقيه[١] "دار إسحاق بن إبراهيم **وكانت جزيرة فأقطعها المأمون إسحاق،** فأولها يتصل بدار البطيخ، وآخرها بمقابر باب التِّبن".

وفي المُدونات التاريخية التي تركها لنا المؤرخون عن سكنى الخلفاء، وذوي قرابتهم **بمحلة الحريم الطاهري** نلحظ **أن أهل الخاصّة دائمًا كانوا يميلون إلى السكنى بجوار بعضهم البعض،** ففي سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) أشار ابن الجوزي[٢] إلى أن الأمير إبراهيم بن المقتدر ابتاع **قُصورًا بالحريم الطاهري** بثلاثين ألف دينار، كانت ملكًا لورثة إسحاق بن إبراهيم، **واتخذت للأمراء من أولاد الخليفة دورٌ،** ومن الراجح أنه ومع مرور الزمن احتفظت **الفئة الخاصة** ولا سيما أُسر الخلفاء العباسيين بالمواقع المفضلة لهم بتلك المحلة؛ فعريب[٣] ينُصُّ على أن: "**دار ابن طاهر التي هي مستقر أولاد الخلفاء**"، و "**دار ابن طاهر التي كان فيها أولاد الخلفاء**"، إزاء ما تقدم يحقُّ لي أن أتساءل هل كانوا بتلك الكثرة؟[٤]. حتى تخصص لهم قصورًا منفردة **بمحلة الحريم الطاهري** للسكنى عِوضًا **عن حريم دار الخلافة؟،** إجابة الصابي[٥] على هذا التساؤل **قاطعة**

---

(١) البلدان، ص٢٩٨.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٣/ص١٨٩.

(٣) صلة تاريخ الطبري، ص١٦، ١٢٦.

(٤) **قلت:** ويذكر أن الخليفة المتوكل كان له من الولد اثنى عشر ولدًا، وبايعه بالخلافة سبعة من أولاد الخلفاء، والخليفة المهتدي خلَّف سبعة عشر ولدًا، وست بنات، والمستعين كان له ولدان؛ ظهير الدين الكازروني: علي محمد، ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العبّاس، تحقيق: مصطفى جوّاد، وزارة الإعلام العراقية، مديرية الثقافة العامة، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٠.

(٥) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٥.

بكثرتهم؛ إذ أكد أن "**جاري أولاد** المتوكل على الله، **وأولادهم رجالًا، ونساء** من جملة ألف دينار في الشهر، ثلاثةً وثلاثين دينارًا وثلث دينار ليوم، **وجاري ولد** الواثق، والمهتدي بالله، والمستعين **وسائر أولاد الخلفاء** من جملة خمسمائة دينار في الشهر، ستة عشر دينارًا وثلثي دينار ليوم"، وبالطبع فإن قيمة هذه التفاصيل **تنصرف إلى طبيعة الوضع الاجتماعي لأولاد الخلفاء** باعتبارهم ينتمون لطبقة الخاصة والذين تمكنوا بمقدراتهم المالية الموروثة، والمستجدة **أن يكونوا الأكثر تميُّزًا عن سائر الطبقات. وقد بدى هذا التميُّز** حين أُحصي زمن الخليفة المعتضد بالله الفئات الخاصة من: **الوزراء، والكُتَّاب، والحواشي، والأصحاب، والأمراء، والقواد، والإشراف**، وما يمتلكونه في بيوتهم من حمَّامات مقابل العامّة، فكانوا لا ينقصون **عن خمسين ألف إنسانٍ**، ولا تخلو دار كل واحد منهم من حمام على التقليل، وإلا ففي دور كثير منهم حمامات[١].

هذا وتشير المصادر بأن قصور دور الخلافة بما فيها **محلة الحريم الطاهري** – فيما يبدو – كانت بها أعدادا كبيرة من الأرقاء الذين اشتغلوا في خدمة هؤلاء الخاصة، فالصابي[٢] يذكر أن جملة عددهم أيام المكتفي بالله وصل **عشرة آلاف خادم**، بينما في أيام المقتدر بالله كان العدد **أحد عشر ألف خادم، وأربعة آلاف امرأة** بين حرة، ومملوكة. كما نلحظ في هذا السياق أن الوزير فخر الملك وكان من **أهل الحريم الطاهري** والذي تمكَّن بفضل ثروته الهائلة[٣]، وبما أنفق

(١) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص٢١.

(٢) رسوم دار الخلافة، ص٨.

(٣) يقال: أخذ من ماله – بعد مقتله – نيفًا وست مئة ألف دينار سوى الضِياع، والثياب، والفرش، والآلات، وقيل: إنه وجد له ألف ألف ومئتا ألف دينار، هذا إلى جانب أنه كان يحتجز لنفسه ما يزيد على ثلاثة آلاف ألف دينار، وأودعها عند جماعة؛ سبك بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٨/ص٢٦٠.

من أموال **أن يتبوأ مكانًا له في هذه الطبقة الاجتماعية الأكثر تميزًا بالمحلة وبغداد**، فيذكر عنه: أنه أنفق أموالًا كثيرة على تعمير داره؛ حتى أنه لما عصفت ريح ببغداد فقصفت أكثر من عشرين ألف نخلة، استعمل أكثرها في داره، هذا إلى جانب كثرة الصلات التي يجريها على الفقراء، والعلماء بالعراق وغيرها، وكسوته لألف فقير في يوم واحد، وسنَّه لتفرقة الحلوى في النصف من رمضان(١).

في المقابل نلحظ **وبشكل وثيق أن الطبقة الوسطى** والتي يُشَكِل رجال القضاء، والعلماء قِوامها؛ ارتباط أكثرهم **بسكنى محلة الحريم الطاهري**، حتى أننا لا نبالغ إذا قلنا: إننا لو نظرنا من خلال الوجهة العلمية لمدينة بغدادٍ الأم؛ نجد تعلق نظر الكثير منهم بالاتجاه صوب **الحريم الطاهري** دون غيرها؛ **لإقامة تجمعات حضرية** بشكل يلفت الانتباه. هذا وتجيب النصوص التاريخية بالإثبات على صحة ما ذهبت إليه؛ فابن الدُّبيثي في ذيله على تاريخ بغداد(٢) يذكر في ثنايا تراجمه عددًا من العلماء الذين **سكنوا الحريم الطاهري** ومن هؤلاء: "المقرئ علي بن ثابت الدور نحالي المتوفى سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) **كان يسكن بمحلة الحريم الطاهري**، والمحدث سالم بن علي بن سلامة، أبو الحسن دلال الإبْرِيْسَم(٣)، ويعرف بابن البيطار المتوفي سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، من أهل الجانب الغربي **وكان يسكن بالحريم الطاهري**، والمحدث عبد الغني بن عبد العزيز بن البندار، أبو الفتح بن أبي القاسم بن أبي البقاء المتوفى سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، كان **يسكن بالحريم الطاهري بدرب الأشقر في دار جده**". وفوق ذلك كُلِّه كان مجرد انتساب أهل العلم، وأعيان العلماء إلى تلك المحلة

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٨/ص٢٥٩.

(٢) ج٢/ص١٥٤، ١٥٥، ج٣/ص٣٦٤، ج٤/ص٢٦٥.

(٣)الإبْرِيْسَم: ثياب الحرير؛ أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، ج٣/ص٢٧٦، ج٩/ص٢٩٢.

تعزيزٌ لما ذهبت إليه من قدرة تلك الطبقة (الوسطى) على **خلق تكوينات حضرية** مميّزة لهم **بالحريم الطاهري**؛ فالذهبي[١] يذكر عددًا من الأعلام ممن ينتسبون إليها؛ منهم: " يحيى بن محمد بن بذال، أبو نصر **الحريمي الطاهري** المتوفى سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م)، وصدقة بن أبي المظفر، أبو الفتوح البردغولي، **الحريمي الطاهري** المتوفى سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م)، ومحمد بن أبي البركات، أبو السعادات **الحريمي الطاهري** المتوفى سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)".

والشيء الذي لا يمكنني التعرف عليه بوضوح من المصادر التاريخية هو طبيعة **دورهم الاجتماعي كطبقة وسطى**، إلا أن ما يمكن رصده في هذا السياق أننا نجد تجسيدًا للعلاقة الوثيقة مع قضايا المجتمع من خلال **رعاية أموال الأيتام والحفاظ عليها من العبث** في صورة تتجلى معها معاني التكامل، والتآزر؛ وإذا كان **أمين القضاة** مسؤولًا عن **أموال اليتامى** رعايةً، وصونًا لها من العبث، والتعدي عليها[٢]، فإننا نلحظ أن عددًا من قاطني تلك المحلة كانوا يعملون **كأمناء للقضاة بالحريم الطاهري**، فهذا أحمد بن موهوب، أبو شجاع بن أبي القاسم بن السدنك المتوفى سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) كان **من أهل الحريم الطاهري، وأمين القُضاة به**[٣]، بينما نجد الحسن بن المبارك المعروف بابن البواب، **من أهل الحريم الطاهري، كان أمينًا للقُضاة بالحريم وما يجاورها**[٤].

إضافة إلى ذلك **نلحظ الدور الفعَّال لهم في التصدي للأوبئة، وغيرها**، فيذكر أن عام (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) **شهدت محلة الحريم الطاهري وباءً** كسائر

(١) تاريخ الإسلام، ج١١/ص٣٠، ج١٢/ص٩٧٧، ج١٣/ص٨٧٠.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧/ص٣٣١.
(٣) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٢/ص٣٩٩، ٤٠٠.
(٤) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٣/ص١٣٥.

المحال؛ "حتى كانت تُحفر زُبية[١] فيلقى فيها عشرون وثلاثون من الناس؛ وسببه قلة القوت، والجوع، ومن مات قريبًا من دجلة سحبوه برجله، وألقوه فيها ...، وغلقت الأسواق، واشتغل الناس ليلًا ونهارًا بدفن موتاهم، وغسلهم وتكفينهم، وكل دار يدخلها الموت يأتي على الجميع، ... وغلق من البلد من دور المُقدَّمين، وأعيانهم أكثر من ألفي دار..."[٢]، فما كان من **علماء محلة الحريم الطاهري** – وهذا من المُسلَّمات تبعًا للحوادث– إلَّا **وأن قاموا بحملات توجيهية، توعوية لرفع هذا البلاء؛ فحثوا الناس بالحريم الطاهري** على التوبة، والتصدق بفضول الأموال، والبعد عن المحرمات، ولزوم المساجد، ولعل هذا ما أوضحه ابن الجوزي[٣] حيث قال: " وتاب الناس كلهم، وتصدقوا بمعظم أموالهم، وأراقوا الخمور، وكسروا المعازف، ولزموا المساجد لقراءة القرآن خصوصًا العمال، والظلمة ...". بالإضافة لهذا نجد أن بعض **علماء محلة الحريم الطاهري** أدُّوا دورًا اجتماعيًا محوريًا من خلال مواساة الفقراء، وسد حاجات المعوزين بالمحلة؛ **فهذا ابن شبل العطار الحريمي الطاهري** المتوفى سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م) نظرًا لشهرته بالرفق، والبسط؛ كان **منزله مجتمع الفقراء، والصالحين**، وله القبول الكبير عند الناس[٤].

بينما يلاحظ أن طبقة العامة والتي تضمت أصحاب المهن، والحرف، والعُمَّال، والمزارعين، وغيرهم، قد أحسنت استغلال **موقع محلة الحريم الطاهري** على ضفاف نهر دجلة؛ فأوجدوا معابر تُؤمِّن ارتحالهم **بين محلة الحريم والجانب**

(١) الحُفرة. والأصل الحفرة التي تُحفر للأسد، ولا تُحفر إلا في مكان عال من الأرض؛ لئلا يبلغها السيل؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٤/ص٣٥٣. مادة (زبي).

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٩/ص١٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص١٧.

(٤) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٢/ص٤٤٠، ٤٤١.

الشرقي لبغداد عن طريق **المُشرعات**(١) الخاصة بالمراكب، والتي تنطلق منها، وترسو فيها، ومن أبرز تلك **المشرعات مشرعة المارستان**(٢). والتي عمل على خدمتها عددًا من الملاحين، والمهنيين **من أهل المحلة** وغيرها، وتشير المصادر **أن معيشة هؤلاء – في الغالب– كانت في غاية البساطة**؛ فيرتدون الجُبة المميّزة لهم، ويأكلون الأطعمة البسيطة(٣)، وبالنظر لقلة الجسور العابرة بين شطري بغداد؛ اعتمد البغداديون في تنقلهم بين الجانبين بالزوارق، ومن الطبعي أن المشرعات كانت تتطلب أماكن ملائمة لوقوف تلك الزوارق بحيث يستطيع عامة الناس بالمحلة، وسائر قاطني بغداد سهولة الركوب والنزول(٤)، وحسب إشارة المصادر نجد أن **السُّمَيريات**(٥) **المعبرانيات بدجلة** إبان القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أحصيت فكانت **ثلاثين ألفًا**، قدر **من كسب ملاحيها** في كل يوم **تسعون ألف درهم**"(٦).

وبالإضافة لهذا قامت **بالمحلة مخابز** – كما يفهم من المصادر –

---

(١) المشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها، ومشرعة الماء: مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها، ويستقون، والشريعة: موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب، ابن منظور: لسان العرب، ج٨/ص١٧٥، ١٧٦. مادة: (شرع).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص٣٧.

(٣) التُّنوخي: المحسن بن علي، ت٣٨٤هـ/٩٩٤م، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجيُّ، دار صادر، بيروت، ط٢/١٩٥م، ج٣/ص١٩١، ١٩٢، ج٥/ص٢٧٦.

(٤) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص٣١٦، ٣١٧.

(٥) مفرد سُميرية وهي: ضرب من السفن عُرف في العراق أيام العباسيين، وهذا النوع تعددت استعمالاته في أغراض شتى؛ درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، ط٢/١٩٧٩م، ص٦٧.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٤٣٨.

وكانت بيوتات المحلة تُرسل دقيقها لخبزه بها[١]. ومن الملاحظ **أن المخابز بمحلة الحريم الطاهري** كانت موزعة على دُروبها، ودُورها حتى أن دُخانها كان كريه الرائحة يتأذى منه؛ فلما سأل عبد الله بن طاهر عن ذلك قيل له: " إن **الجيران يخبزون** بالبعر والسِّرجين[٢]، فقال: إن هذا لمن اللّؤم أن نقيم بمكان **يتكلف الجيران شراء الخبز، ومعاناته، اقصدوا الدُّور، واكسروا التنانير**[٣]، واحصوا جميع من بها من رجل، وامرأة وصبيّ، وأجروا على كل واحد منهم **خبزه، وجميع ما يحتاج إليه**، فسمّيت أيامه الكفاية"[٤]. إلى جانب هذا تقدم لنا النصوص التاريخية ما يفيد **بوجود طائفة من العمّال** الذين يمتلكون عددًا من الدكاكين التجارية **داخل محلة الحريم الطاهري**[٥]، وبتلك الحوانيت، أو الدكاكين لم يكن يجري بها سوى البيع بالتجزئة وهذا على حسب، وقدر حال أصحابها، أما تجارة الجملة فكان يمتلكها التُجار الكبار المتخصصون، يؤيد هذا ما رواه الطبري[٦] من أن كل ربع من أرباع المدينة (بغداد) كان فيها بقال يبيع الخل، والبقل وحده.

---

(١) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م، الأذكياء، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٩٣.

(٢) البعر: رجيع الخف، والظلف من الإبل والشاء، ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ص٧١، مادة: (بعر)؛ السِّرجين: الفَرْث ما دام في الكِرش، والمراد به الزِّبلُ تُدْمَل به الأرض، مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣/ص٢٤٦، ج١٨/ص٢٧٧.

(٣) جمع تنور وهو نوع من الكوانين الذي يخبز فيه؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ص٩٥، مادة: (تنر)؛

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢/ص٢٥١.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨/ص٣١٥.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٧/ص٦٥٤.

- المناسبات والأعياد

تُعدُّ المدونات التاريخية **عن مشاركة أهل الحريم الطاهري في المناسبات، والأعياد في غاية الشُّح، والعوز**، ولكننا إذا تصدينا لدراسة هذه الحالة، فلا مفر من الاقتصار في معظم الأحوال على افتراضات، وبما أن دراسة طبيعة الحياة في **محلة الحريم الطاهري** لا يمكن فصلها عن دراسة بغداد، وسائر المحلات، لذا يمكن القول: إن **الصبغة الرسمية، والشعبية** في المشاركة في المناسبات الدينية مظهرٌ مهمٌ، وإبرازها لا غنى عنه في هذا السياق، فالاحتفالات بقدوم شهر رمضان - على سبيل المثال- **من صوره المميِّز لمشاركة الخاصة، والعامة على حد سواء**، "فدار الخلافة كانت تبادر بفتح آذُر الضيافة للعوام، والفقراء، والأيتام، والمساجد منيرة بالصلاة، والتراويح، والعوام مبتهلة بالملاذ، والغناء، والفرح إلى منتهى وقت العشاء، ومع اقتراب الشهر من نهايته يخلع الخليفة التشريفات على أرباب المراتب حتى تصل إلى الخاص، والعام، ثم يتهيأ الناس لاستقبال العيد"(١)، فيخرجون ليلة العيد لرؤية هلال شوال، ومع ثبوت الرؤية يشهد القضاة بذلك عند قاضي القضاة، والذي يرفع الأمر للخليفة(٢)، وكان الخليفة يحرص أشد الحرص على مشاركة العامة فرحة استقبال العيد؛ فيروي الطبري(٣) أن **الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر والتابعة المحلة الحريم الطاهري** شهدت موكب خروج الخليفة المستعين، وكبار قوَّاده **لأداء صلاة الأضحى بها سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م**، وأن الخليفة صلى بالناس في هذا اليوم، وإضافة لهذا **كان الخليفة ينحر في دار الخلافة**، وفي أهله؛ رغبة في ثوابه،

(١) ظهير الدين الكازروني: علي محمد، ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق: كوركيس عوّاد، ميخائيل عوّاد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٢م، ص٢٥، ٢٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص٦، ٧.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٩/ص٣٤٢.

فيمتاز الفقراء، ويؤجر الأغنياء[١].

والجدير ذكره في هذا السياق أنه ومع قدوم أشهر الحجِّ يُلحظ أن الجانب الغربي من بغداد – ومنه بطبيعة الحال **محلة الحريم الطاهري** – كان على أُهْبَة الاستعداد لاستقبال الحجاج القادمين من شرق العراق، فيذكر ظهير الدين الكازروني[٢] أن دُور الضيافة في **محلات الجانب الغربي** كانت تُفتح لكل بائس، وضعيف، وشاطئ نهر دجلة تضربت عليه الحياض، والروايا للحاج الوافد، مشيرًا إلى أن الناس ذكورًا، وإناثًا، فرادى، وجماعات كانوا يهرعون للفرجة على مواكب الحجاج **في طرقات، والدُروب**، مؤكدًا على أن هذا الاحتفال كان يستمر لأيام. ومن المناسبات المفرحة التي شارك فيها العامة، الانتصارات العسكرية على الأعداء فعامة بغداد كان يستقبلون تلك الانتصارات بالابتهاج، والفرح، والسرور، **ولا شك عندي في أن عامة محلة الحريم الطاهري** كانت من جملة من **شاركوا بفاعلية** في مثل هذه المناسبات كباقي المناطق، والمحلات؛ فا**نتصار السلاجقة على البيزنطيين** سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) شكَّل صورة مثالية لهذه المشاركة، فلم يكد خبر النصر يصل بغداد **إلَّا وضُربت بها الدَّبادب والبُوقات**[٣]، واجتمع الناس في بيت النوبة[٤]، وقرئت كتب الفتح[٥].

---

(١) ظهير الدين الكازروني: مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، ص٢٦.

(٢) مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، ص٢٤.

(٣) الدَّبادب يقصد بها الطَّبل، البُوقات الشيء الذي يُنفخ فيه؛ مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج١/ص٤٨١، ج٧/ص٤.

(٤) قصر بدار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد، كانت تعقد فيه الكثير من المناسبات، والاجتماعات التي يحضرها الخليفة، والسلاطين، وكبار رجالات الدولة، وعامة الناس؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٩/ص١٧٥، ١٩٤، ٢٢١، ٤٠٤، ج٢٠/٢٣٧.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦/ص١٢٨.

ومن الطريف أننا نلحظ أن **عوام الحريم الطاهري كان يخرجون للفرجة، والعمل في بناء الأسوار** فحين شرع الخليفة المسترشد سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) في تجديد **سور حريم دار الخلافة** أذِن للناس بسائر المحلات **بالفرجة، والبناء**، فخرجوا على تلك القاعدة؛ **فكان كل أسبوع يعمل أهل محلة – ومنهم أهل الحريم الطاهري– مصاحبين عملهم هذا بضرب الجَنْكات**(١)، **والطبول**(٢). ومن اللافت للانتباه **مشاركة العامة في احتفالات زواج الخلفاء** فيذكر ابن الأثير(٣) أن **أهل محلة الحريم الطاهري** عند نقل جهاز خاتون ابنته السلطان السلجوقي ملك شاه(٤) إلى دار الخلافة تمهيدًا لزفافها على الخليفة المقتدي بأمر الله(٥) **لم يبق فيه (الحريم الطاهري) دكانا إلا وقد أشعل فيه الشمعة، والاثنتان، وأكثر من ذلك**، كما **نجدهم** تزامنًا مع قيام السلطان برفع الضرائب، والمكوس من الأسواق **يقيمون الاحتفالات بسائر نواحي المحلات فرحًا، وابتهاجًا؛ بإزالة تلك الضرائب،**

(١) الجَنْك آلة يضرب بها كالعود، وقيل: يطلق على الدف الذي يضرب به؛ مرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٣/ص٥٣٤.

(٢) ابن الجوزي: مناقب بغداد، ص١٧؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٢١٩/١٧.

(٣) الكامل في التاريخ، ج٨/ص٣١٥.

(٤) أبو الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان، الملقب جلال الدولة، مولده في سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) تسلطن بعد مقتل أبيه بوصية منه، وتحليف الأمراء، والأجناد على طاعته سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) ، وتوفي في السادس عشر من شوال سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥/ص٧٠، ٢٨٣، ٢٨٨.

(٥) المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله، أمه أم ولد اسمها: أرجوان، بويع بالخلافة عند موت جده القائم، وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، نظرًا لوفاة أبيه في حياة القائم، وكانت البيعة في سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٤م)، واستمر بالخلافة حتى وفاته سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ويذكر أن قواعد الخلافة في أيامه كانت باهرة، وافرة الحرمة، بخلاف من تقدمه؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٠١-٣٠٣.

والمكوس، فيروي ابن الجوزي[١] أن سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) وتحديدًا في شهر ذي القعدة "**طُيِّف بالألواح** التي نُقش عليها **ترك المكس** في الأسواق، **وضربت بين يديها الدَّبادب، والبُوقات**".

عاشراً:- الأوضاع الاقتصادية

من المعلوم أن **اختطاط بغداد كان في منطقة زراعية** حيث وفرة المياه، والتربة الخصبة، والتي ضمت قبل بنائها مجموعة من القُرى، كان يُقام بها سوقًا مؤقتًا للمنتجات الزراعية للمنطقة، ومع إتمام البناء **وزَّع المنصور هذه الأراضي على السكان**، لتتحول إلى أراضي سكنية دون أن يخصص منها أراض للزراعة، **وفي الواقع لم يُعرف في إقطاعات الجانب الغربي** ما أصبح مزرعة سوى العباسة[٢] الواقعة جنوب المدينة[٣]، وقد أوضح اليعقوبي[٤] السبب في ذلك بقوله:" لأن الناس سبقوا إلى **الجانب الغربي** وهو جزيرة بين دجلة، والفرات **فبنوا فيه، وصار فيه الأسواق، والتجارات**"، وتأسيسًا على هذا أقول: **إن محلة الحريم الطاهري** أضحت بذلك عرضة لنمو تجاري هائل، بحيث امتدت عبر شرايين المواصلات الرابطة بين دجلة، وسائر أنحاء العراق، **وليس أدل على ذلك** من **أن** الجانب الغربي – بمحلاته – والذي عُمرت فيه بغداد أول العهد، وكان فيه مقام الخليفة، وأتباعه، ومزدحم السكان منذ أوائل إنشائه، فطبعيًّا أن تكون فيه نهاية المواصلات، **وأن تنشأ فيه الفُرَض النهرية لإفراغ السلع، والبضائع على**

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨/ص٥٠.

(٢) **تنسب إلى العباس بن محمد** أخو أبي جعفر المنصور المتوفى سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١/ص٤١١.

(٣) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص٢٧٤.

(٤) البلدان، ص٤٥.

تنوعها[١]، وسبق وأن بيَّنتُ أن أبرز **أسواق محلة الحريم الطاهري** هي: سوق "**دار البطيخ العُليا**"، هذا السوق الواقع على نهر دجلة مباشرة **حيث الفُرَضة**، فاليعقوبي[٢] يذكر أن قطيعة أم جعفر **يفصلها عن الحريم الطاهري** "**السوق على دجلة في الفُرَضة**"، **وعليه يرجح الدكتور صالح أحمد العلي**[٣] أن **هذه الفُرَضة كانت ترسو فيها المنتجات، والسلع القادمة من المناطق الشمالية بديار العراق**، وهذا الترجيح يتوافق مع الروايات التاريخية فقد ذكر أبو بكر محمد بن يحيى الصولي[٤] (المتوفى سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م) في حوادث سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) "... **وضمنت دجلة والمآصر الأعلى** بخمسمائة دينار..."، بينما في حوادث سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣م) ذكر ابن الجوزي[٥] "في عود العيارين إلى الانتشار، ومواصلة الكبسات بالليل، والنهار، أن البُرْجُمي[٦] مضى إلى العامل على **المآصر الأعلى بقطيعة الدقيق (أعلى الحريم الطاهري)**، فقرر معه أن يعطيه في كل شهر عشرة دنانير من الارتفاع، ويطلقوا له سُميريتين كبيرتين بغير اعتراض، وأخذ عهده على مراعاة الموضع".

وهكذا وكما يفهم من المصادر فإن **مآصر محلة الحريم الطاهري وسوقه**

(١) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص٢٧٤.

(٢) البلدان، ص٤٣.

(٣) معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص٢٧٧.

(٤) أخبار الراضي بالله والمتقي لله (تاريخ الدولة العباسية من كتاب الأوراق)، تحقيق: ج. هيورث دن، مطبعة الصاوي، مصر، ١٩٣٥م، ص٢٧٦.

(٥) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج١٥/ص٢٣٩.

(٦) كان رئيسًا للعيارين في بغداد ونواحيها مات غرقًا سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣م) بأمر من معتمد معتمد الدولة؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٨/ص٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢.

كان من الشهرة بمكان على الرغم من **تعدد المآصير** على طول نهر دجلة[١]، إلى جانب كونه **قِبلة للسفن التجارية المحملة بسائر أنواع التجارات، والبضائع،** فلا تنقطع في أي وقت من الأوقات؛ فالماء لا ينقطع على حد وصف اليعقوبي[٢]، ومن الواضح أن **مآصر المحلة كان موقعًا مميزًا لتنظيم الحركة الملاحية التجارية،** فبموجب هذا – كما يبدو لي – وحسب إشارة المصادر فإن عددًا من **السفن، والزوارق التجارية** – العابرة لدجلة– والمقدرة بـ "**مائة، وخمسين زورقًا**" كانت **تصل من الموصل إلى سوق الفُرضة العليا بالمحلة** – على أقل تقدير – لتفرغ حمولتها المكونة من: الدقيق، والشعير، والشحم، والعسل، والثياب، وغيرها[٣]. ويقتضي هذا الأمر **الافتراض بأن تلك الفُرضة، وسوقها** كانتا مركزًا لتموين باقي **أسواق المحلة بالبضائع، والسلع** مثل: **سوق "المارستان"**[٤]، **وسوق "شارع دار الرقيق"**[٥]. حقيقةً إن ما يمكنني قوله في هذا هذا السياق إن **محلة الحريم الطاهري** كانت تمتلك **قدرًا كبيرًا من الثروات التجارية، والتي تكوَّنت بفضل أسواقها،** يُنبئُ عن هذا ما أفصح عنه اليعقوبي[٦] اليعقوبي[٦] من أن **ضريبة الأملاك المفروضة على الأسواق ببغداد** في جانبيها الشرقي، والغربي كانت تُقدر سنويًّا بـ "**اثنى عشر مليون درهم**".

هذا ويشير الدكتور أحمد صالح العلي[٧] " **إن سعة بغداد، وغناها،**

(١) مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٦/ص٣٢٦.

(٢) البلدان، ص٤٤.

(٣) الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص٢٥٢.

(٤) غي لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص٨٧.

(٥) القطيعي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢/ص٦٢٧.

(٦) البلدان، ص٥٠.

(٧) معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص٢٧٩.

وازدهارها المادي؛ استلزم نموًّا صناعيًّا محليًّا؛ لسد بعض حاجات أهلها"، وحسب إشارته – تلك– نلحظ أن المصادر لم تذكر إلا عددًا قليلًا من الصناعات التي اختصت بها بغداد(١)، ومع هذا تحفظ لنا المصادر(٢) أن العراق كان مشهورًا بصناعاته في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولعل أبرز الصناعات التي تميزت بها **المحلة صناعة الثياب القطنية، والحريرية**؛ فبها كان يُعمل ثياب العَتَّابية(٣)، وكذا الثياب الإبْرِيْسَم (الحريرية)(٤)، **ونظرًا لوقوع دار القز**(٥) **بطرف محلة الحريم الطاهري** كما أشار "لسترانج"(٦) والتي ظلت – حسب حسب قوله – موضعًا ذا صيت كبير في صناعة الورق في جميع أطراف

(١) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص٢٧٩.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٣٨؛ المقدسي: أبو عبد الله محمد البشاري، ت٣٨١هـ/٩٩١م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣/١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٢٨، ١٢٩.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣/٤٦٣؛ **قلت:** وقد أورد الذهبي في ترجمة بعضًا ممن **ينتسبون لمحلة الحريم الطاهري** لفظة "**المُستَعمل**"؛ تاريخ الإسلام، ج١٢/ص٩٧٢، ج١٣/ص١٠٣، ٦١٧، ٨٠٣، ج١٤/ص١٥٩، **ولفظ المستعمل يقصد به الذي يعمل في نسيج العَتَّابي**؛ ابن المستوفي: المبارك بن أحمد بن المبارك الإربلي، ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م، تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج٢/٣٨٦؛ **والعَتَّابي نسبة إلى موضع، أو محلة بالجانب الغربي** لبغداد كانت في **جوار الحريم الطاهري**، ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠١؛ غي لسترانج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص١٠٦.

(٤) الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج٣/ص٣٦٤.

(٥) دار القز: إحدى محلات بغداد المشهورة بصناعة الكاغد، وتقع بظاهر بغداد في طرف الصحراء؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢/ص٤٢٢؛ ابن المستوفي: تاريخ إربل، ج٢/ص٥٥٣.

(٦) بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص١٠٦، ١٠٧.

المشـــرق، إلا أن ما يفهم من سياق كلامه أن **مواضع بالحريم الطاهري** كان لها نصيب **من صناعة الورق ولا سيما في سوق الفُرضة العليا** – السابق ذكره – يؤيد هذا ما أورده جورج مقدسي[١] في تعليقاته على وصف أبي الوفاء ابن عَقيل لـ "بغداد" **من أن محلًا لصناعة الورق كان بالحريم الطاهري**، وهكذا فإن تركز **صناعة الورق بمحلة الحريم وما يجاورها من محال** راجع إلى توفر المواد الأولية من بقايا القطن، ونفايته في هذه المنطقة[٢].

حادي عشر:- الأوضاع العلمية

ليس من السهل أن نحدد بدقة معاهد العلم **بمحلة الحريم الطاهري** إلا من خلال سبر أغوار سير وتراجم من انتسب إليها من الأعلام، والنبلاء، ودراستها بصورة متأنية، وصولًا إلى الغاية المرجوة؛ ألا وهي **إبراز الأوضاع العلمية بالحريم الطاهري**، ومن ثم الإلمام بتفاصيلها قدر الاستطاعة، والتي ترُوم تعميق فهمنا للظواهر الحضارية بالمحلة شكلًا، ومضمونًا.

واستثناءً لحالات الأُسر التي تنتمي لطبقة العامة، وتعيش حياة مليئة بالكد، والنصب، فقد كان **أرباب الأسر الغنية، والطبقة الخاصة بالحريم الطاهري** يتطلعون أن يتلقى أبناءهم – منذ طفولتهم الغضة – **نوعًا من التعليم الأولي في منازلهم، فربَّ الأسرة كان يدعو معلمًا، أو مؤدبًا** يقوم على تهذيب أولاده، وبناء شخصيتهم المعرفية، **فالوزير "أنو شروان" دعا لتأديب أولاده بمنزله بالحريم الطاهري**" أبا الحسن بن أبي عثمان الهروي المتوفى سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م)"، والذي تميَّز بطلبه للحديث بنفسه، وقراءة الأدب حتى إنه حصل منه طرفًا

(١) خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ص٣٢.

(٢) صالح أحمد العلي: معالم بغداد الإدارية والعمرانية، ص٢٨٣.

صـالحًا[١]. ومـع فقر الأُسر كـان **الأولاد يُرسـلون إلـى الكُتَّـاب، أو معلـم القـرآن** الذي يقوم بدوره بتلقينهم كتاب الله ﷻ في مكتبه، **فالأولاد بالحريم الطاهري** كانوا – كعهد غيرهم – يختلفون **إلى المكاتب، والكتاتيب في سن السابعة، والعاشرة،** وقد وُصفت تلك **المكاتب بأنها مكان يُدرس فيه** الخط، بالإضافة للقرآن، والعقيدة، والشعر[٢]. ويذكر ابن الدُّبيثي[٣] أن "محمد بن علي بن محمد المقرئ، أبا عبد الله السقاء المتوفي سنة(٥٧٢هـ/١١٧٦م)، **من أهل الحريم الطاهري**"، **لَقَّن خلقًا كثيرًا من أهل المحلة وغيرها القرآن،** فكان الناس يقرءون عليه، ويتبركون به، ومن حُسن سيرته كما رواها ابن الدُّبيثي أنه عُرف بحسن الطريقة، والسيرة المحمودة؛ **لذا نجده يستقي الماء من دجلة** ويحمله إلى بيوت الناس **تكسبًا منه.**

وإذا كان ما تقدَّم **يُبرز صورة للتعليم الأولي بالحريم الطاهري** فإن **ثمة تعليمًا أعلى قاد إليه الدرس في المكاتب، أو الكتاتيب،** وهو تدريس العلوم الإسلامية من الفقه، والحديث، واللغة، وغيرها **بحلقات المساجد، وبيوت العلماء،** والجدير ذكره في هذا السياق أن هذا النوع من الدرس كان أشد بريقًا، وأكثر توهُّجًا بشكل يثير الدهشة، والإعجاب، **فحلقات الجامع ببغداد، وتوابعها من سائر المحال** كانت تُستخدم في تدريس العلوم الشرعية، إلى جانب الفتوى (الإفتاء)، أو المناظرة، وكذا الوعظ[٤]، **فالمسجد الجامع بالمحلة** كما يفهم من كلام ابن الفُوطي[٥] أن شيخه "عماد الدين أبا بكر أحمد الأشقر **الحريمي**

(١) ابن النجار: محب الدين أبو عبد الله، ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ، ج١٩/ص١١.

(٢) جورج مقدسي: نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ترجمة: محمود سيّد محمد، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط٢/١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، ص٨٠.

(٣) ذيل تاريخ بغداد، ج١/ص٤٩١.

(٤) جورج مقدسي: نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ص٦٩.

(٥) مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٢/ص١٩، ٢٠.

الخطيب" كان **يعقد به مجالس لرواية الحديث، مؤكدًا أنه كتب له إجازة بجميع مروياته، ومسموعاته،** بينما يروي ابن الدُّبيثي في تاريخه[١] أنه قرأ الحديث بمسجد "نور الهدى" **بالحريم الطاهري** فقال: "**قرأت على الشريف أبي تمام** محمد بن العباس بن يحيى الزينبي (المتوفى سنة ٦١١هـ/١٢١٤م) **بمسجده بالحريم الطاهري غير مرةٍ ...**"، **بالإضافة لذلك وحسب إشارة** جورج مقدسي[٢] **نلحظ** أن عليًّا الزاهد بن المدبر كان يُدرس بمسجده **بأعلى محلة الحريم الطاهري بدار البطيخ**[٣].

هذا ويذكر **ابن اللَّتِّي البغدادي، الحريمي، الطاهري** (المتوفى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م) في مشيخته[٤] أنه قرأ على شيخه أبي المعالي ابن الجيَّان الحريمي محمد بن محمد، **المعروف بـ "ابن اللحاس**" المتوفى سنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م) **بداره بالحريم الطاهري** في شعبان سنة (٥٥٣هـ/١١٥٩م)، بينما قرأ في **منزل شيخه** يحيى بن القاسم مقبل بن أحمد المعرف **بـ "ابن الأبيض**" المتوفى سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) **بمحلة الحريم** في ذي القعدة سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م)، وفي شوال من سنة ذاتها قرأ على شيخه المعروف **بـ "ابن كاره**" المتوفى سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م) **بداره بالحريم الطاهري.** بينما يروي لنا ابن الدبيثي[٥] نقلًا عن عن صديقه أبي الفضل إلياس بن جامع الإربلي المتوفى سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) **أنه كتب "الحديث" فخرج التخاريج، وجمع مجموعاتٍ كثيرة** عن شيخه علي بن

(١) ذيل تاريخ بغداد، ج١/ص٥٣٤، ٥٣٥.

(٢) نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ص٦٨.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧/ص٢٠١.

(٤) تحقيق: عامر حسن صبري، نشر مؤسسة الريان، ط١/١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٤٠٠، ٤٠١، ٤١٥.

(٥) ذيل تاريخ بغداد، ج٢/ص٥٦٤، ٥٦٥، ج٤/ص٤٦١، ٤٦٢.

عبد الكريم بن الحسن الهمذاني، أبو الكرم العطار المتوفى سنة (**القاطن بالحريم الطاهري**، والذي جاء فيه:" **وكتبت عنه في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بالحريم الطاهري**". **في حين** أورده ابن الدُّبيثي[١] عن نفسه **قائلًا:**" أخبرنا أبو المعالي أحمد بن أبي القاسم التاجر(المتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م) **بقراءتي عليه من أصل سماعه بالحريم** ..."، "قرأت على القاضي أبي منصور عبد الملك بن المبارك (المتوفى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م) **بباب منزله بالحريم**".

ومن جهة أخرى سجَّل لنا أبو حيان الأندلسي[٢] المتوفى سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م) أن **بُيوت العلماء بالحريم الطاهري** ظلت في زمانه قبلة لتحصيل العلم الشرعي ولا سيما "علم الحديث" فيذكر قائلًا: "أخبرنا أبو نصر محمد، ووالده أبو الهنا عبد الله بن نصر بن أبي بكر **الحريمي، قراءة عليهما وأنا أسمع بالحريم الطاهري** ..."، ويقول: "أخبرنا شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن علي بن سلامة الهاشمي، **بقراءتي عليه بباب منزله بدرب يعقوب من الحريم الطاهري بالجانب الغربي من بغداد**، وهو أول حديث سمعته منه ...". وجملة القول في هذا كما تظهره العديد من النصوص: **أن محلة الحريم الطاهري كانت تنافس بغداد نفسها** في تخريج **المحدِّثين، وليس أدل على ذلك** من أن الكثير من بيوتها وصفت بـ "**بيت مشهور بالرواية**"، و"**بيت معروف بالصلاح والرواية**"، و"**بيت الحديث والرواية**"، و"**بيت معروف روى عنهم جماعة**"، فضلًا عن ذلك وُصف أبناؤها من طلبة الحديث بقولهم: "**من أولاد المحدثين**"، "**من أبناء الشيوخ، والمحدثين**"[٣].

(١) ذيل تاريخ بغداد، ج٢/ص٣٩٠، ج٤/ص١٠٨.

(٢) المنتخب من حديث شيوخ بغداد، المكتبة الظاهرية، رقم (٢١٠٨)، لوحة (١٩)، (٢٧).

(٣) ابن الدُّبيثي: ذيل تاريخ بغداد، ج١/ص٦٩، ١٨٠، ٤٧٩، ج٢/ص٢١٣، ٣٤٢، ج٣/ص٢٦، ج٤/ص٣٥، ٧٩.

إلى جانب هذا **نطالع رباط الحريم الطاهري**، والذي أدَّى دوره **كمؤسسة تعليمية** موقوفة على المتصوفة، والفقراء من طلبة العلم، وتشير المصادر إلى أن أرفف **مكتبة هذا الرباط كانت تذخر بأمهات الكتب** في شتى الفنون، **والمكتوبة بالخطوط المنسوبة**[١]؛ كخدمة لنزلاء هذا الرباط، وطلبة العلم فيه، ومن أبرز من تولوا **مشيخة هذا الرباط:** عبد العزيز بن دلف، المقرئ الصالح، أبو محمد البغدادي الناسخ المتوفى سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، ويبدو من سيرته أنه كان **يُدرِّس القراءات بهذا الرباط** بعد أن تولى **مشيخته**[٢]، وطبقًا لما رواه ابن الفُوطي[٣] فإن فخر الدين أبو سعد المبارك **شيخ رباط الحريم**، والمتوفى سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) كان يكتب بيده **المصاحف ويُوقفها؛ خدمة لحفظة القرآن** بالمحلة، وغيرها. هذا بينما كانت **المجالس الأدبية، والشعرية** تؤتي ثمارها التعليمية **بالحريم الطاهري**، فليس ثمة شك في أن **مجالس أدباء، وشعراء المحلة** كانت موردًا مهمًا في تلبية رغبات محبي الشعر، والأدب، **فالأديب الشاعر اللغوي** " عبد الله بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا، المتوفى سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) **من أهل الحريم الطاهري**، كان قِبلة في هذا الفن؛ نظرًا لما تمتع به من براعة أدبية، حتى إن **مقاماته الأدبية كانت ذات شهرة واسعة**، فضلًا عن **ديوانه في الشعر، والرسائل**[٤]، وفي معرض ما يرويه ياقوت الحموي[١] عن "أحمد بن علي بن

(١) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢٢/ص١٤.

(٢) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٣) مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٣/ص١١٤، ١١٥.

(٤) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ/١٥٠٥م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢/١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٢/ص٦٧.

المعمر، أبو عبد الله النقيب الطاهر" المتوفى سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) الأديب الفاضل، والشاعر المنشيء، يُرجَّح أن **داره بالحريم** كانت **مقرًا لتعليم** فنون الشعر، والأدب، يؤكد هذا أن **رسائله كانت مرغوبة فيها، ويتداولها الناس لحُسنها.**

في مقابل هذا **شهدت محلة الحريم دروسًا لتعليم الطب** من خلال البيمارستان العضدي؛ فالعالم أبو الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) كان **يقرأ صناعة الطب بهذا البيمارستان**، إلى جانب معالجة المرضى فيه، وقد أكد ابن أبي أصيبعة أنه وجد شرحه لكتاب "جالينوس" وقد قرئ عليه، وعليه الخط بالقراءة **في البيمارستان العضدي**، والمؤرخة بيوم الخميس الحادي عشر من شهر رمضان سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، والجدير ذكره أن جميع مصنفات هذا العالم كانت **تنقل عنه إملاءً من لفظه بهذا البيمارستان**[٢]. كما نوَّه ابن أبي أصيبعة[٣] **إبراهيم بن بكس كان يدرس صناعة الطب في البيمارستان العضدي** لما بناه عضد الدولة. أ.هـ

=

(١) معجم الأدباء، ج١/ص٤٠٦، ٤٠٧.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٣٢٣.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٣٢٩.

الخاتمة

وهذه أبرز نتائج تلك الدراسة والتي تمنَّينا أن تكون وافية قدر الإمكان.

- **محلات بغداد** تأسست **تبعًا للتوزيع** الذي غلب عليه **الانتماء القبلي، والمذهبي.**
- رسمت **المحلات** نموًّا عمرانيًّا، وحضاريًّا لبغداد؛ فصارت بذلك **مدينة غير محدودة النطاق** بل **مركزًا حضاريًّا مزدهرًا** بكافة عناصره الإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية.
- ترجع نشأة محلة **الحريم الطاهري** كنتيجة مباشرة لجملة عوامل جغرافيَّة، وسياسيَّة، وأمنيَّة.
- تمايزت **محلة الحريم الطاهري** عن غيرها بانتشار **الأمن، والرفا** مما اكسبها **ملاذًا آمنًا للسُّكنى، والتعمير.**
- شكَّل **الحريم الطاهري مركزًا ثانويًّا** استراتيجيًّا لإقامة أرباب السلطة من العباسيين، وكبار رجالات الدولة، وظلت معه لردحٍ من الزمن **حرمًا آمنًا** لرفات بني العباس.
- تطوَّرت الملكيات، والخطط العمرانية **بمحلة الحريم الطاهري** فتباين معها النمط السكاني، وتناهى عنها وِحْداويّة الطبقة.
- الأدلة التاريخية أشارت إلى الحاجات التي ولَّدها **التزايد الطبعي للاستيطان، والتعمير** في توسع **محلة الحريم الطاهري** في مناطق الأطراف، أو بعبارة أخرى من الداخل إلى الخارج على **حساب المحال المجاورة لها.**
- **الحريم الطاهري** لم يكن **مجرد محلة من محال** بغداد المتعددة، بل **مدينة تُكافئ بغداد ذاتها** إلى حد كبير.
- التغيرات الخططية المهمة **لمحلة الحريم الطاهري** والناتجة عن تطور وحداتها، وضواحيها، استتبع معها **تنوعا لمرافقها الخدمية** مراعاة للأنماط

الاجتماعية المستجدة.

- **محلة الحريم الطاهري** اكتسبت بعض الظواهر المميزة لها باعتبارها مركزا حضاريا وسعا ضمَّ **مجلسًا للشرطة، ومجلسًا آخر لكبار رجالات الدولة،** ومن ثم تزايدت أهميتها الاستراتيجية.
- أدى النمو المتزايد للأنشطة الاجتماعية، والاقتصادية **بالحريم الطاهري** إلى بلورة مؤسسات إدارية خاصة بها.
- مآصر **الحريم الطاهري** كان الأشهر على طول ساحل نهر دجلة، مما جعله يتحكم في تنظيم الحركة التجارية العابرة.
- مثلت **محلة الحريم الطاهري** معقلًا لطلب **علم الحديث، وفنونه** والتي شكَّل جوهر حياتها العلمية، **إلى الحد الذي جعلها تَشتهر به.**

ملحق رقم: (١)

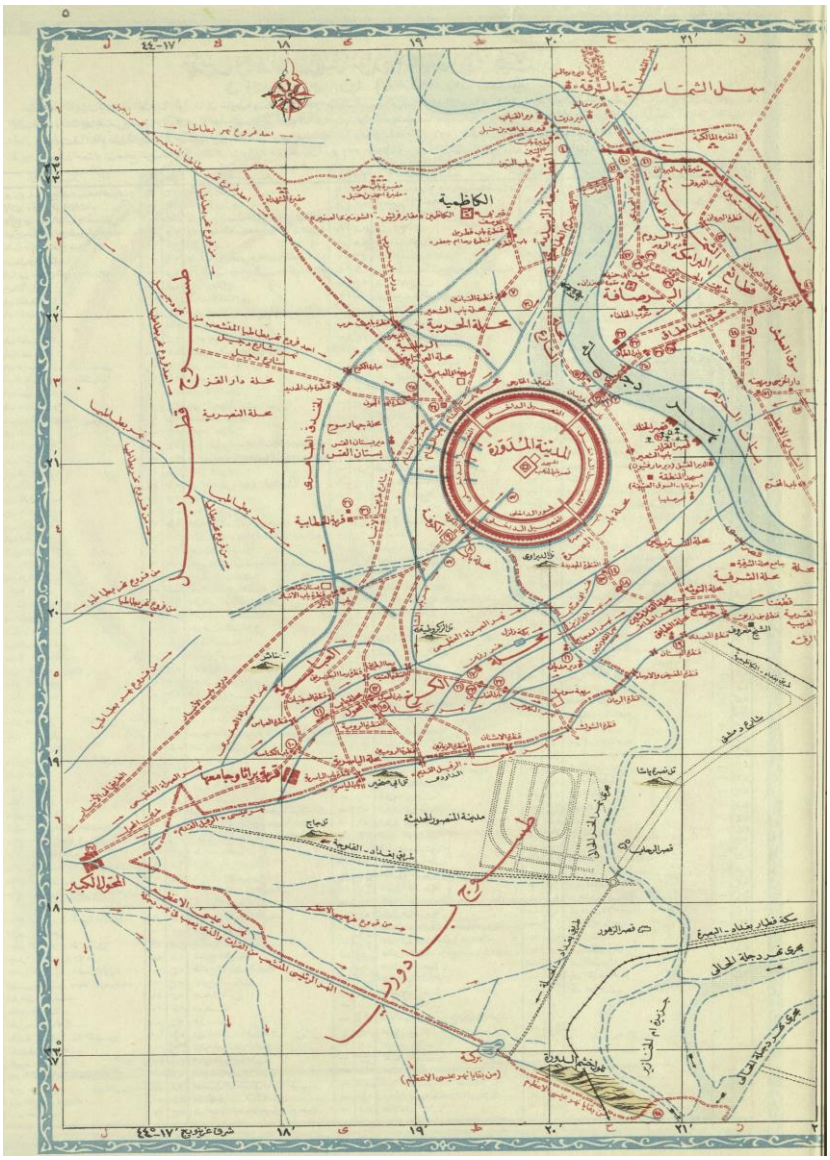

خريطة توضح محلات الجانب الغربي من بغداد

أحمد سوسة: أطلس بغداد، مطبعة مديرية المساحة العامة، بغداد، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص٥.

ملحق رقم: (٢)

خريطة توضح محلة الحريم الطاهري في أقصى امتداد لها

أحمد سوسة: أطلس بغداد، ص١١.

ملحق رقم: (٣)

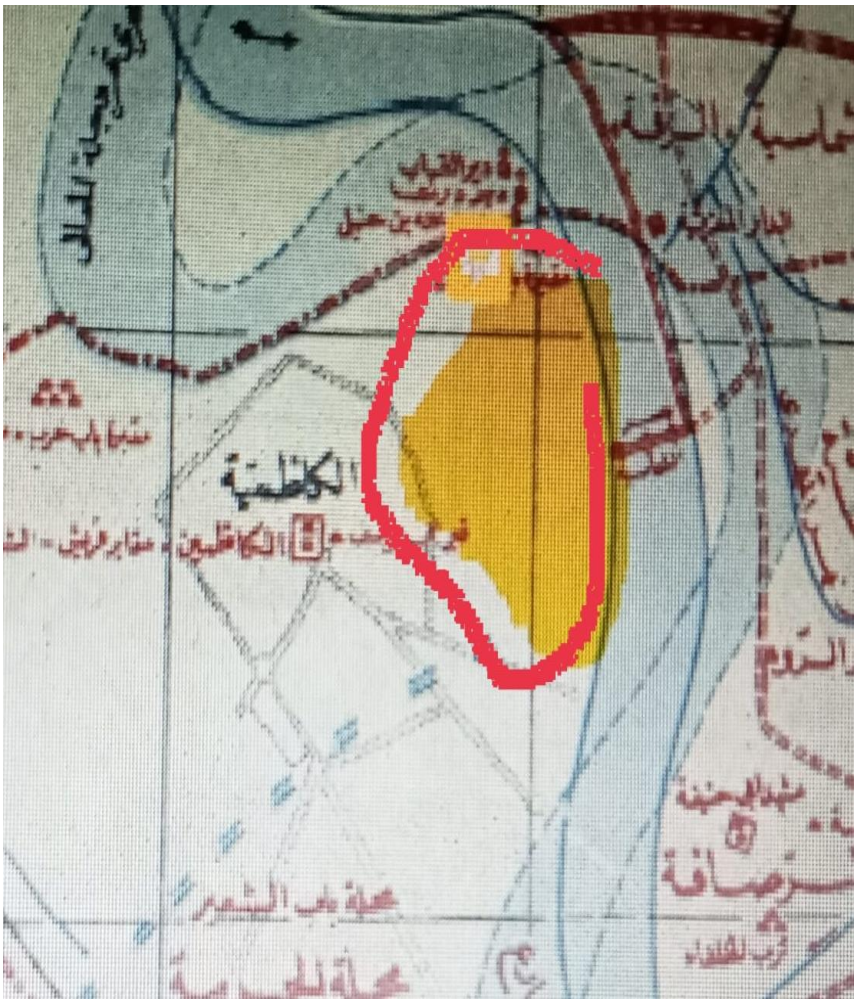

خريطة توضح محلة الحريم الطاهري وقت النشأة

أحمد سوسة: أطلس بغداد، ص٥.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا:- المصادر

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م.

- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة، ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د ت.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي، ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م.

- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.

التُنوخي: المحسن بن علي بن محمد، ت٣٨٤هـ/٩٩٤م.

- الفرج بعد الشِّدة، تحقيق: عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجيُّ، دار صادر، بيروت.

الثعالبي: عبد الملك بن محمد، ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، د ت.

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني، ت٦١٤هـ/١٢١٧م.

- رحلة ابن جبير دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت، د ت.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

- الأذكياء، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- مناقب بغداد، اعتنى بتصحيحه: محمد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٢هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/١٠٤٧هـ/١٩٨٧م

حمزة بن الحسن الأصفهاني، ت٣٦٠هـ/٩٧٠م.

- تاريخ سَني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١/١٩٦١م.

ابن حوقل: أبو القاسم محمد البغدادي، ت٣٦٧هـ/٩٧٧م.

- صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٩٣٨م.

أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي، ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م.

- المنتخب من حديث شيوخ بغداد، المكتبة الظاهرية، تحت رقم (٢١٠٨).

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي، ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م.

- تاريخ بغداد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م.

- (المقدمة) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد، ت٦٨١هـ/١٢٨٢م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

ابن الدُّبيثي: أبو عبد الله محمد، ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م.

- ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١/١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن، ت٣٢١هـ/٩٣٣م.

- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١/١٩٨٧م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م.

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١/٢٠٠٣م.
- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٣/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن رافع السلامي: تقي الدين محمد بن هجرس، ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م.

- الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس ، د. بشار عواد معروف، مؤسسة دار الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٢هـ.

سبط بن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر، ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م.

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١/١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

سُهراب: ت سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م

- عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، طبع بمطبعة هُولزهوزن، فينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ/١٥٠٥م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢/١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١/١٣٧١هـ.

ابن شمائل القطيعي: عبد المؤمن بن عبد الحق، ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٢هـ.

الصابي: هلال بن المحسن بن إبراهيم، ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م.

- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، د ت.
- رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢/١٩٨٦م.

الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى، ت ٣٣٥هـ/٩٦٤م.

- أخبار الراضي بالله والمتقي لله (تاريخ الدولة العباسية من كتاب الأوراق)، تحقيق: ج. هيورث دن، مطبعة الصاوي، مصر، ١٩٣٥م.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت٣١٠هـ/٣١٠هـ/٩٢٢م.

- تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢/١٣٨٧هـ.

ظهير الدين الرُوذرَاوَرى: الوزير أبى شجاع محمد بن الحسين، ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م.

- ذيل تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.

ظهير الدين الكازروني: علي محمد، ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م.

- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العبّاس، تحقيق: مصطفى جوّاد، وزارة الإعلام العراقية، مديرية الثقافة العامة، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق: كوركيس عوّاد، ميخائيل عوّاد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٢.

العبري: أبو الفرج غريغوريوس بن توما الملَطِّي، ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م.

- مختصر تاريخ الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣/١٩٩٢م.

عريب بن سعد القرطبي، ت٣٦٩هـ/٩٧٩م

- صلة تاريخ الطبري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د، ت.

العمراني: محمد بن علي بن محمد، ت٥٨٠هـ/١١٨٤م.

- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١/١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ابن الفقيه: أبو عبد الله أحمد بن محمد، ت٣٦٥هـ/٩٧٥م.

- البلـــدان، تحقيـــق: يوســـف الهـــادي، عـــالم الكتـــب، بيـــروت، ط١/١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن الفُوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق، ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م.

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١/١٤١٦هـ.

ابن القاص: أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري، ت٣٣٥هـ/٩٤٦م.

- أدب القاضي، دراسة وتحقيق: د. حسين خلف الجبوري، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، الطائف، ط١/١٤٠٩/١٩٨٩م.

ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله، ت٢٧٦هـ/٨٨٩م.

- الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ

القُفطي: جمال الدين أبو الحسن علي، ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١/١٤٠٦هـ.

ابن اللَّتِي: أبو المنجَّى د عبد الله بن عمر البغدادي، ت ٦٣٥هـ/١٢٣٧م

- **مشيخة أبي المنجى بن اللتي،** تحقيق: عامر حسن صبري، نشر مؤسسة الريان، ط١/١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

ابن ماكولا: سعد الملك أبو نصر علي، ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م.

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ/١٩٩١م.

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

- الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د ت.

المزرباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران، ت٣٨٤هـ/٩٩٤م.

- معجم الشعراء، تحقيق: ف . كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

ابن المستوفي: المبارك بن أحمد بن المبارك الإربلي، ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م.

- تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.

المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قُم، ١٤٠٩هـ.

مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد، ت٤٢١هـ/١٠٣٠م.

- تجارب الأمم، وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط٢/٢٠٠٠م

المقدسي: أبو عبد الله محمد البشاري، ت٣٨١هـ/٩٩١م.

- أحســن التقاســيم فــي معرفــة الأقــاليم، مكتبــة مــدبولي، القــاهرة، ط٣/١٤١١هـ/١٩٩١م.

أبو منصور الأزهري: محمد بن أحمد، ت٣٧٠هـ/٩٨٠م.

- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط١/٢٠٠١م

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، ت٧١١ هـ/١٣١١م.

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ.

ابن النجار: محب الدين أبو عبد الله، ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م.

- ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ

النووي: أبو زكريا محيي الدين، ت٦٧٦هـ/١٣٦٥م.

- تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١/١٤٠٨هـ.

الهمذاني :محمد بن عبد الملك ت٥٢١هـ/١١٢٧م.

- تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١/١٩٥٨م.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م.

- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بـ "معجم الأدباء"، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢/١٩٩٥م.

اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر، توفي بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م.

- البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ.

ثانيًا:- المراجع العربية

أحمد سوسة:

- أطلس بغداد، مطبعة مديرية المساحة العامة، بغداد، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

أحمد شلبي:

- التربية الإسلامية (نظامها- فلسفتها- تاريخها)، طبعة جامعة القاهرة، ط٦/١٩٧٨م.

جمال حمدان:

- جغرافية المدن، نشر عالم الكتب، القاهرة، ط٢، د ت.

حارث علي حسن العبيدي:

- العشوائيات: دراسة سوسيو أنثروبولوجية في الإقصاء الاجتماعي/المكاني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عَمّان، ٢٠١١م.

حسام الدين السامرائي:

- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة (٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م)، دار الفكر العربي، د ت

درويش النخيلي:

- السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، ط٢/١٩٧٩م.

الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزّاق، ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

سُولاف فيض الله حسن:

- دُور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١/٢٠١٣م.

شكيب أرسلان:

- المختار من رسائل أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، الدار التقدمية، لبنان، ط١/٢٠١٠م.

صالح أحمد العلي:

- بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٥م.
- معـالم بغـداد الإداريـة والعمرانيـة (دراسـة تخطيطيـة)، دار الشـؤون الثقافيـة العامة، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٨م.

عبد الرزاق الحسيني، عبد العزيز الدوري:

- بغـداد، ترجمـة: إبـراهيم خورشـيد، وآخـرون، دار الكتـاب اللبنـاني، مكتبـة المدرسة، بيروت، ط١/١٩٨٤م.

عبد الفتاح محمد وهيبة:

- جغرافية الإنسان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

عدنان محمد فايز الحارثي:

- عمـران القـاهرة وخططهـا فـي عهـد صـلاح الـدين (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١١٩م)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

محمد أحمد عبد المولى:

- العيَّارون والشُّطار البغاددة فـي التـاريخ العباسـي، مؤسسـة شـباب الجامعـة، الإسكندرية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي:

- معجـــم لغـــة الفقهـــاء، دار النفـــائس للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

محمد عبد الستار عثمان:

- المدينـة الإسـلامية، سلسـلة عـالم المعرفـة، المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب، دولة الكويت،(أغسطس ١٩٨٨م).

محمود شكري الآلوسي:

- أخبار بغداد وما جاورها من بلاد، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١/١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

مصطفى جوّاد، أحمد سوسة:

- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديمًا وحديثًا، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

مصطفى جوّاد، وآخرون:

- تخطيط بغداد في مختلف عصورها، نشر: نقابة المهندسين العراقيين على نفقة مؤسسة كولبنكيان، بغداد، ١٩٦٩م.

مصطفى عباس الموسوي:

- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العرقية، ١٩٨٢م.

ميخائيل عواد:

- صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ط١/١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ثالثًا:- المراجع المعربة

جورج مقدسي:

- خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، دار الكتب العلمية، بغداد، ط١/١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ترجمة: محمود سيّد محمد، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط٢/١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

غي لسترانج:

- بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة: بشير يوسف فرنسيس، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط١/٢٠١٣م.

فالتر هنتس:

- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عَمَّان، ١٩٧٠م.

مكسمليان شتريك:

- خُطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ترجمة: خالد إسماعيل علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

يعقوب ليْسْنَر:

- خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة: د. صالح أحمد العليّ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م.

رابعًا:- الدوريات

صالح أحمد العلي:

- نهر عيسى في العهود العباسية، مجلة سومر، مج٣٤، ج١، ٢، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الآثار والتراث، الجهورية العراقية، ١٩٨١م.

طلعت إبراهيم لطفي:

- أثر الحضرية في جماعات الجيرة "دراسة ميدانية لعينة من أرباب الأسر في مدينة الرياض"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، (مج ٤ ،ع ١٦) ١٩٨٤م.